


دكتوره هـدى درويـش

أسرار اليهود المتنصّرين فى الأندلس

دراسـة عن اليهـود المارنواس

أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس

(دراسة عن اليهود المارنواس)

دكتــــورة هـــدى درويش
معهدالدراسات الآسيوية – جامعة الزقازيق

الطبعة الأولى
٢٠٠٨م



عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعيـة
ᶜEIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

المستشارون	بطاقة فهرسة
د . أحـمـد إبراهيم الهـوارى	درويش ، هدى
د . شـوقى عبد القوى حبيب	أسرار اليهود المتنصرين فى الأندلس :
د . قاسـم عـبده قاسـم	دراسات عن اليهود المارنواس / هدى درويش
المشرف العام :	- ط١ - الجيزة : عين للدراسات والبحوث
د. قـاسم عـبـده قـاسم	الانسانية والاجتماعية، ٢٠٠٨ .
المدير التنفيذى :	١٢٨ ص ؛ ٢٤ سم
شـريف قـاسم	تدمك ٩٧٧ ٣٢٢ ٢٣٤٩
مدير الانتاج :	١- اليهود - تاريخ
جـمـال عـابد	أ- العنوان
تصميم الغلاف: **د. منى العيسوى**	

الناشر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية

٥ شارع ترعة المريوطية - الهرم - ج.م.ع تليفون وفاكس ٣٨٧١٦٩٣

Publisher:EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

5, Maryoutia St ., Elharam - A.R.E. Tel : 3871693

web site: WWW.Dar -Ein.com / E-mail : dar_Ein@hotmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ﴾

صدق الله العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

المارانوس لفظ أطلق على طوائف من اليهود ظهرت فى إسبانيا والبرتغال، حيث أجبروا على دخول المسيحية وقت الحكم المسيحى الكاثوليكى ؛ فاعتنقوها بهدف البقاء فى الـبلاد والحفاظ على ممتلكاهم ، بعد سقوط الحكم الإسلامى . حيث مثلوا طبيعـتين متناقـضين، وشخصيتين متباينتين فكريًا وعقائديًا وحياتيًا، مسيحية تسعى للاندماج مبتعدة عن أصـولها اليهودية فى الظاهر، وأخرى يهودية مستخدمة كافة وسائل التخفى لإقامة الشعائر اليهودية فى الباطن .

عاشت طوائف المارانوس أشبه ما تكون جماعات تجسسية واستخباراتية غـير تقليديـة للبلاد ، وشكلت من استثماراها التجارية جماعات ضغط على تلك البلدان .

ولا ريب فى أن مكمن الخطورة فى ظهور هذه الطائفة اليهودية المتنصرة لا يقتصر فقـط على عدم الانتماء الوطنى، والاندماج فى السلام الاجتماعى فى البلدان التى يتعايشون فيها، وإنما حاجة هذه الجماعات بصفة دائمة وملحة إلى الانتماء إلى شبكة ممتدة حول العالم مـن اليهود الذين يرتبطون بدولة المركز وعقيدها .

فقد كانت هذه الطوائف على اتصال دائم باليهود فى جميع أنحاء العالم ، فقلما نجد يهوديًا فى الشرق لا يعرف أحوال أخيه اليهودى فى الغرب ، كما نجد لهؤلاء المتنـصرين الـذين عاشوا يهودًا فى وجداهم، مظهرين عبادات وشعائر أخرى مختلفة – أقرانًا ظهروا فى التاريخ فى كل مكان فى العالم، ومثال على هذا يهود الدونمة (الشبتائيون) الذين عاشوا فى تركيا – بعد طردهم من إسبانيا – واتخذوا من الإسلام ستارًا يخفون به هويتهم اليهودية الحقيقيـة ، فكانوا مسلمين فى الظاهر ، يصومون ويصلون ويحجون ، بينما مارسوا يهوديتهم فى الباطن يذهبون للمعابد ، ويقيمون شعائرهم وطقوسهم اليهودية بشكل سري .

وعلى الرغم من بعد المسافات بينهما – حيث عاش المـارانوس اليهـود فى أوروبـا ، وطوائف الدونمة فى آسيا – واختلاف الديانة التى دخلها كل منهما إلا أنه كان يربط بينهما – وأيضًا مع غيرهما من الطوائف اليهودية فى مختلف البلدان – اتصالات وعلاقات ، جمعتهم وحدة الأهداف والأغراض التى يسعون إليها .

وقد جاء اختيارهذه الدراسة بهدف التعرف على أساليب تلك الفئات من اليهود المتنصرين ، وقدرتها على التكيف فى مجتمعات مغايرة، والتعايش معها حتى لو اضطرت فى سبيل ذلك إلى تغيير عقيدتها فى الظاهر درءاً لمخاطر التهجير والإبعاد والإقصاء من إسبانيا والبرتغال زمن الحكم المسيحى الكاثوليكى .

وتعد هذه الدراسة من الدراسات والبحوث العلمية التى ما فتئت تلح فى طلب المعرفة لكل المسكوت عنه فى التاريخ ، وسبر أغوار القضايا والإشكاليات التى تستدعى النزاعات الطوائفية ، وبحث السبل عن حلول لهذه المعضلات .

وتهتم الدراسة بالكشف عن الأساليب والطرق التى تعتمد عليها هذه الجماعات لضمان وسائل التخفى والاندماج والتعايش مع الديانات والمذاهب المغايرة ووسائلهم الفكرية فى التغلغل إلى المجتمعات لتحقيق أغراضهم . بما يجعلها تبدو فى الظاهر وكأنها طبيعية ولا تشكل قلقًا أو توترًا يفسد عليها مخططاتها .

وتتحدد الاتجاهات المنهجية لهذه الدراسة فيأتى المنهج التاريخى على رأسها الذى يستخدم مجموعة من الأدوات الدقيقة والإجراءات التى تهدف إلى الوصول إلى الحقائق النسبية وليست المطلقة انطلاقًا من الأحداث والشخصيات التى تحدد الحقيقة والمعلومة تحديدًا نسبيًا، كما تتبع الدراسة المنهج التحليلى لإعادة النظر فى الأحداث المعلنة للتثبت من الأسباب والنتائج الواردة فى ثنايا التاريخ ، وذلك من أجل توظيف الماضى لتحديد رؤى المستقبل .

وبالإضافة إلى المنهجين السابقين تتبع الدراسة المنهج الاستقرائى الذى يغلب عليه التحليل والتركيب المرتبط بالتطور الاجتماعى والسياسى لجماعة المارانوس اليهودية فى المجتمعات غير اليهودية .

وتدخل هذه الدراسة ضمن الدراسات المقارنة التى تعتمد على توصيف وتحليل الجوانب التاريخية والقانونية ليهود المارانوس وتوضيح علاقة هؤلاء اليهود بالمسيحية ، ومدى قبول كل منهما للآخر.

ولأجل فهم حقيقة هؤلاء المتنصرين نطرح عدة أسئلة وهى :

- ما هى الأسباب التى دعت إلى ظهور تلك الطائفة التى جمعت الطبيعتين اليهودية والمسيحية ؟

- كيف استطاع المتنصرون إقناع المحيطين بهم أنهم خرجوا عن دائرة عقيدتهم الأصلية ؟
- ما هى الوسائل التى اتبعوها من أجل الاندماج فى المجتمعات المسيحية؟
- ما هى الوسائل السرية التى اتخذوها لإخفاء ممارستهم لطقوسهم اليهودية؟
- هل استطاعوا المحافظة على عقيدتهم اليهودية ؟
- ما هو موقف الأوساط المسيحية تجاههم ؟
- ما هو موقف الحاخامية اليهودية منهم ؟
- ما هو مدى علاقاتهم باليهود الآخرين خارج مجتمعاتهم ،على كافة المستويات الدينية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها ؟
- ماهو موقف النخب اليهودية المتنصرة تجاه أهل ملتهم اليهود سواء أكانت معادية أو مدافعة عنهم؟
- ما مدى قبول اليهودية لهؤلاء المتنصرين ؟
- ما هو موقف الشريعة اليهودية تجاه صلاحية زواجهم سواء كان من الأجانب أو اليهود؟
- ما هو موقفهم الحالى من اليهودية وموقف اليهودية منهم ؟

وتعترى هذه الدراسة بعض الصعوبات نظراً لندرة المصادر والمراجع التى تتناول العقائد السرية الخاصة بالمارانوس اليهود وتنوعها، وطرق عباداتهم ، الظاهرة منها والخفية .

وقد تم الرجوع إلى عدد من المصادر والمراجع العبرية الأصلية لتوضيح فكر هذه الجماعات المتنصرة ذات الأصل اليهودى حيث تفردت الدراسة لأن تكون الأولى من نوعها والتى تبحث وتكشف حياة هذه الطوائف وتفنيد عقائدها وممارسات عباداتها وشعائرها .

والبحث ينقسم إلى تمهيد وأربعة فصول :

يشتمل التمهيد على جذور : التنصر اليهودى فى الأندلس وذلك من أجل الولوج إلى وسائلهم فى تحقيق أهدافهم طبقًا للتطور الزمنى والمكانى والسلوكيات التى حددت اتجاهاتهم.

الفصل الأول يحمل عنوان : المارانوس اليهود ومعضلة التحول إلى المسيحية، ويتضمن التعريف بهذه الطوائف وتسميتهم ومعناه بين الشعوب التى عاصرت فترة ظهورهم .

وينقسم هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث :

يتضمن المبحث الأول : آليات القوة اليهودية فترة العصور الوسطى على المستويات المختلفة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية على اختلاف نواحيها .

ويتحدث المبحث الثانى عن : ردود الفعل الرسمية والشعبية المسيحية تجاه هؤلاء المتنصرين ، الإيجابية منها والسلبية .

ويتناول المبحث الثالث : الممارسات التى قامت بها محاكم التفتيش لأجل تحويلهم القسرى إلى المسيحية فى إسبانيا والبرتغال .

والفصل الثانى بعنوان : المارانوس بين الظاهر المسيحى والباطن اليهودى .

وينقسم إلى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : ويتضمن طرق ممارسة المتنصرين للشعائر المسيحية .

والمبحث الثانى ويشتمل على : كشف وسائل وأساليب المتنصرين فى إخفاء عقائدهم وشعائرهم اليهودية .

ونتناول فى المبحث الثالث : النخب والشخصيات المتنصرة واتباعها طرق المهادنة للمسيحية ومعاداتها لأبناء جلدتها .

والفصل الثالث بعنوان : معضلات الدمج والنبذ بين المارانوس ونظرائهم فى أنحاء العالم .

ويشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث .

يتضمن المبحث الأول علاقة المارانوس اليهود بالحركات المسيحانية التى صاحبت هذه الفترة .

والمبحث الثانى يتضمن : موقف الحاخامات والمشرعين اليهود تجاه المارانوس وخاصة فيما يختص بأمور الزواج .

ويأتى المبحث الثالث فى ختام الدراسة ويتناول : موقف هؤلاء المارانوس الحالى من اليهود واليهودية .

ونخلص فى النهاية إلى أهم النتائج التى توصلت إليها الدراسة .

تمهيد

جذور التنصر اليهودي في الأندلس

في عام ٧٠م وقبل دخول المسيحية أوروبا كان اليهود يستوطنون أوربا ، وعندما هدم الرومان المعبد في أورشليم ، سبوا آلافًا من اليهود وباعوهم في أوربا ، إلا أن أغنياء اليهود اشتروهم ثم قاموا بعتقهم فتكونت جاليات يهودية تعيش في أحياء خاصة بهم فى أنحاء العالم تسور بأسوار يغلقونها عند غروب الشمس ، وكانوا يمتهنون التجارة وبعض الحرف ويحرصون علي امتلاك الأراضي [١] . وكانت أكبر جالية يهودية هي تلك التي عاشت في إسبانيا .

وعندما دخلت المسيحية أوربا بدأ العداء بين اليهود والمسيحيين الذى اشتد باعتناق الإمبراطور قسطنطين المسيحية فى القرن الرابع الميلادى ، في ذلك الوقت شعر المسيحيون بخطر اليهود عليهم وعلي دينهم ، حيث عارضوا احتكار اليهود للثروة وجمع المال وأمور الربا الفاحش التي مارسوها إلي جانب الرشوة . فعاملوا اليهود كجالية تفرض عليها الضرائب ، كما سنوا عدة قوانين تفرق بين اليهود وغيرهم[٢] .

وقد صدرت عدة قرارات من الجانب المسيحى تمنع استخدام اليهود فى الأعمال ، وتؤكد ضرورة عتق أى عبد مسيحى يملكه يهودى ، إضافة إلى منع زواج المسيحيات باليهود، ومنع الختان ، وحرمان اليهود من مزاولة شعائرهم الدينية [٣] . كما صدرت قرارات بحرق وقتل ورجم كل من يؤدى شعائر غير مسيحية ، مما اضطر بعض اليهود إلى اعتناق المسيحية ، وإقامة شعائر الدين المسيحى وأكل لحم الخنزير لإثبات صدق تنصرهم .

وظلت تصدر القرارات المسيحية ضد اليهود والتى تقضى بتسليم كل اليهود – سواء من اعتنق المسيحية منهم ومن لم يعتنقها – وكافة ممتلكاتهم إلى المسيحيين ، وبذلك أصبح اليهود مستعبدين لدى المسيحيين [٤] .

---

[1] عبدالمجيد ، محمد بحر ، اليهود فى الأندلس ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧٠، ص٦ ، ٧.

[2] المرجع نفسه ، ص ١٠ ، ١١ .

[3] نفسه ، ص١٦.

[4] برنز يواكيم : بابوات من الحى اليهودى ، ترجمة خالد أسعد عيسى، مراجعة سهيل زكار، دار حسان ، ١٩٨٣م، ص١٧ . وبرنز يواكيم حاخام يهودي صهيوني عاش في بدايات القرن العشرين .

وفي عام ٥٨٩م بدأت الاضطهادات ضد اليهود و تمثلت في القرارات التي أصدرها المجلس الكنسي فى طليطلة وكانت كالتالى :

١- منع استخدام اليهود للمسيحيين فى أى نوع من الأعمال .

٢- ضرورة عتق أى عبد مسيحى مملوك ليهودى .

٣- فصل كل اليهود الذين فى خدمة الحكومة ومراعاة عدم تعيينهم مستقبلاً .

٤- منع زواج المسيحيات باليهود .

٥- منع الختان الذى كان يفرضه اليهود على عبيدهم وخدمهم ومعاقبة أى يهودى يفرض الختان على خدمه وعبيده بمصادرة أملاكه .

٦- ضرورة تعليق اليهودى شارة مميزة فى مكان ظاهر حتى يعرفه الجميع [١] .

وعلي الرغم من صدور تلك القرارات إلا أنها لم تكن نافذة نتيجة لتشجيع الحكام الكاثوليك لليهود لأجل مصالحهم حتى وصل الأمر إلى استهزاء اليهود بالمسيحيين ، وخاصة في عيد البوريم الخاص باليهود حيث كانوا يحرقون فيه صليباً كنوع من الاستهزاء بالمسيحية[٢] .

وفي سنة ٦٣٣ أصدر المجلس الكنسي قرارات أخرى في طليطلة جاء فيها :

١- يتحتم على كل يهودى أن يسلم أبناءه عند بلوغهم السابعة للكنيسة لتقوم بتعميدهم وتربيتهم تربية مسيحية .

٢- يسلم كل يهودى ارتد عن المسيحية لأحد المسيحيين ليتخذه عبدًا .

غير أن تنفيذ هذه القرارات لم يأخذ طابع الحزم كذلك . على الرغم من استمرارية رجال الكنيسة فى التفكير لتضييق الخناق على يهود إسبانيا [٣] .

وبعد هذه القرارات المضادة لليهود من الجانب المسيحى تعهد اليهود أن يتحولوا إلي المسيحية إلا أنهم ظلوا علي ممارسة شعائرهم اليهودية سرًا ، ولما رأي المسيحيون أن اليهود

---

[1] محمد بحر، مرجع سابق ، ص ١٤ .

[2] المرجع نفسه ، ص١٥ .

[3] محمد بحر ، مرجع سابق ، ص١٦ .

لا يوفون بعهدهم أمروا بتسليم كل اليهود_ سواء من بقي علي دينه أو تحول_ ليكونـوا عبيداً للمسيحيين ومصادرة جميع ممتلكاهم، وظل هذا الحال حتى دخل الإسلام إسبانيا [١] .

ونتيجة لتلك المعاملة التى واجهها اليهود من الجانب المسيحى ، فقد لقى الفتح الإسلامى للأندلس بقيادة طارق بن الوليد عام ٧١١ ترحيبًا كبيرًا من جانب اليهود حيث هاجر كثير من يهود أوربا إلي الأندلس وتجمعوا في قرطبه وطليطة وإشبيلية وسراقسطة وخصصوا إحياء خاصة بهم هناك [٢] .

وعند دخول الإسلام الأندلس قام اليهود بتقديم مساعدات فعالة للعـرب المـسلمين ، وكانوا يعرضون على قائد الجيش الإسلامى خدماقم ، حيث تولوا حراسة المدن المفتوحـة وتأمينها . وعندما استقر الحال للمسلمين منحوا اليهود حريات غير مسبوقة ، فعاشوا فترة تعد نموجًا عظيمًا للمعاملة الحسنة بين أصحاب الحكم و رعاياهم من أصـحاب الـديانات الأخرى ؛ فانتعش الاقتصاد اليهودى أيما انتعاش خلال القرن الأول للفـتح الإسـلامى ، وبزغت نهضة فكرية وأدبية عبرية نتيجة للرخاء الاقتصادى الذى تمتع به اليهود [٣] . حيث جمع اليهود خلال العهد الإسلامي أموالاً طائلة، حتى إنهم كانوا يرسلون الأموال إلي اليهود الفقراء من خارج إسبانيا [٤] .

وخلال العهد الإسلامي أنشأ اليهود مراكز ثقافية ، خاصة في قرطبة ، وانكبـوا علـي دراسة العلوم العربية إلي جانب العبرية [٥] .

ومن أبرز علماء اليهود الذين بزغوا في القرن العاشر فترة العهد الإسلامي في الأنـدلس حسداي بن شبروط [٦] الذى كان وزيرًا للمالية وسفيرًا ، وعين طبيباً بقصر أمير المـؤمنين

---

[1] نفسه ، ص١٧ .

[2] نفسه ، ص٢١ .

[3] عبد المجيد ، محمد بحر ، مرجع سابق ، ص١٣ ، ٢٠ .

[4] نفسه ، ص٢١ .

[5] نفسه ، ص٢١ .

[6] حسداى بن شبروط طبيب وسياسى يهودى ، كون حوله مجموعة من علماء اليهود التلموديين . ولد فى أسـرة ابن عزرا المثقفة، علمه أبوه اللغات العبرية والعربية ، واللاتينية ، ودرس الطب ، داوى الخليفة من أمراضـه ، وأظهر من واسع المعرفة وعظيم الحكمة فى الأمور السياسية ما جعل الخليفة يعينه فى الهيئة الدبلوماسية للدولة . تردد الخليفة فى منحه رسميًّا لقب وزير خشية أن يثير عليه النفوس . قام حسداى بمهام منصبه بكياسة أكـسبته

عبد الرحمن الثالث (٣٠٠ ــ ٣٦٦هــ) (٩١٢ ــ ٩٧٦م) وكان أمير المؤمنين يستشيره في أمور الدولة والتجارة، واستطاع جمع أموالاً كثيرة، واشتهرت مكتبته بغناها بالكتب العبرية، وأنشأ مدرسة للدراسات اليهودية، وكرمه أمير المؤمنين بأن عينه حاخامًا أكبر ليهود الأندلس، وكان يقصده شعراء اليهود وأدباؤهم لمدحه [١].

كما اشتهر من علماء اليهود صموئيل بين ناجديلا (٩٩٣ ــ ١٠٥٥م) [٢] الذى كان وزيراً لملك غرناطة.وأبو الفضل بن حسداي [٣] وكان وزيراً عام ١٠٦٦ في سرقسطة، وإبراهام بن عزرا (١٠٩٣ ــ ١١٦٧) المولود في طليطة، وشلومو بن جبيرول (١٠٢١ ــ ١٠٥٢م) [٤] في ملقا.

= محبة العرب واليهود والمسيحيين على السواء، وقد شجع العلوم والآداب، وجمع حوله الشعراء والعلماء والفلاسفة، ولما مات تنافس المسلمون واليهود فى تكريم ذكراه (ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، طبعة بيروت، ص٥١). استدعى حسداى إلى قرطبة يهودًا كثيرين من الشرق، وأصبح فى قرطبة مركز روحى وديني، ازدهرت فيه الحضارة اليهودية الأندلسية، ترجم كتابًا فى الطب إلى اللغة العربية (فلاح سلمان، تاريخ العرب، وزارة الثقافة والمعارف اليهودية، أورشليم، ١٩٦٥م: ٢١٦/١).

(1) بحر، مرجع سابق، ص ٢٢، ٢٣.

(2) صموئيل بن ناجديلا عالمى تلمودى وشاعر، شغل منصب وزير للمالية عام (١٠٢٧م – ٤١٨هــ) ولد فى قرطبة عام ٩٩٣م ونشأ فيها، جمع بين دراسة التلمود والأدب والعربى، وكان تاجرًا. لما سقطت قرطبة فى أيدى الإسبان انتقل إلى مالقة، كان أمين سر وزير الملك، ثم أصبح مستشاره، وأوصى الوزير وهو على فراش الموت أن يخلفه وبذلك أصبح شموئيل عام ١٠٢٧م اليهودى الوحيد الذى شغل منصب وزير فى دولة إسلامية، وحظى بهذا اللقب. وازدهرت غرناطة فى عهد شموئيل من النواحي المالية، والسياسية، والثقافية. وكان عالمًا وشاعرًا ونابغة فى الفلك والرياضة واللغات، وقد ألف عشرين رسالة فى النحو (معظمها بالعبرية) وعدة مجلدات فى الشعر والفلسفة ومقدمة للتلمود، ومجموعة من الأدب العبرى. كان يقتسم ماله مع غيره من الشعراء، وأمد بالمال طائفة من الطلاب الشباب، وأعان الجماعات اليهودية فى القارات الثلاث كان وهو وزير الملك وحاخامًا لليهود، يحاضر عن التلمود. ولقبه بنو ملته – اعترافًا منهم بفضله – بالنجيد– (الأمير فى إسرائيل) ولما توفى عام ١٠٥٥م خلفه فى الوزارة ابنه يوسف بن ناجديلا. (ول ديورانت، قصة الحضارة: ٥٣/١٣).

(3) أبو الفضل حسداي بن يوسف بن حسداي الإسرائيلي كان أبوه يوسف بن حسداي بالأندلس من بيت شرف اليهود، متصرفا في دولة ابن رزين، وكان له في الأدب باع، ونشأ ابنه أبو الفضل هضبة علاء وجذوة ذكاء. وذكر أنه عني بالتعاليم وأسلم وساد. islamport.com/d/3/adb/1/125/725.html - 47k

(4) سليمان بن جبيرول (١٠٢١-١٠٥٦) Solomon Ibn Gabirol شاعر وفيلسوف عربي يهودي كتب بعض الأعمال بالعبرية. عاش في إسبانيا الإسلامية (الأندلس)، وعُرف عند العرب باسم أبي أيوب سليمان بن يحيي بن جبيرول. وُلد في ملقا، وكان قبيحًا معتل الجسم. نزح إلى سرقسطة حيث تعرَّف إلى رئيس الجماعة اليهودية في المدينة الذي قُتل عام ١٠٣٩. ثم اتجه ابن جبيرول إلى غرناطة ملتجئاً إلى ابن نغريلة وانضم إلى

ويهوذا آل ليفي (١٠٨٠ ــ ١١٤٠) وموسي بــين ميمــون القــرطبي (١١٣٥ ــ ١٢٠٤) [(١)]

كل هذه الشخصيات حظيت بمكانة بارزة ومرموقة وعاشت في ظل الحكم الإســلامى الإسباني وكانوا ناقلين لأنماط الحياة الإسلامية ، ونتيجة لعقيدقم وسلوكياقم الأقــرب إلي المسيحية ؛ فقد حظوا بثقة الملوك والنبلاء الأسبان الذين اســتخدموهم كأطبــاء وعلمــاء ومصرفيين وموظفيين ودبلوماسيين وقائمين علي أمور الملوك والنبلاء [(٢)] .

=حاشيته .ويُقال إنه مات في ظروف مشابهة لموت يهودا اللاوي. وربما يدل هذا على الجانــب الأســطوري في القصة التي تذهب إلى أن عربياً قد قتله . نَظَم عدة قصائد عبرية على نظام الموشحات، كما نظم قصيدة تتنــاول النحو العبري على غرار ألفية بن مالك، وكتب المدائح في أولياء نعمته. وتعالج قصائده الدنيوية موضوعات مثل الحب والخمريات ووصف الطبيعة والشكوى من الزمان والعالم. أما قصائده الدينية، فتعالج الموضوعات اليهودية التقليدية مثل البكاء من أجل صهيون . كتب ابن جبيرول بعض الأعمال الفلسفية بالعربيــة كعــادة المفكــرين العرب من اليهود، ثم تُرجمت هذه الأعمال إلى العبرية فيما بعد ، ومنها إلى اللاتينية ، حيث تركت أثراً في الفكر المسيحي. ومن أهم مؤلفاته كتاب ينبوع الحياة الذي يبيِّن أثر الأفلاطونية المحدثة عليه. وتتميَّز مؤلفاته بأنها خالية من الإشارة إلى اليهودية والعهد القديم، كما أنها تتناول موضوعات فلسفية ذات صبغة إنسانية في العادة ؛ ولــذا كان البعض يتصور أن مؤلفاته من وضع كُتَّاب مسلمين. وقد اشترك بياليك في جمع أشــعاره ونــشرها عــام ١٩٢٤.

(1) موسى بن ميمون ، فيلسون يهودى وطبيب ، من كبار اللاهوتيين اليهود فى القرون الوسطى ، يسميه الغربيون ميمونيدس . درس العلوم الدينية واليهودية والعربية ، ولد فى قرطبة سنة ١١٣٥م ، وتوفى بمصر ١٢٠٤م ودفن بطبرية فى فلسطين ، تربى فى بيئة علمية ، وعاش بقرطبة ، ثم نزح إلى مصر ، واستقر فى مدينة الفسطاط ، الــتى أسس اليهود فيها مدرسة لتعليم الديانة اليهودية والفلسفة والرياضة والطب وانضم موسى إلى هذه المدرســة ، وأصبح من أساتذها البارزين ، وتتلمذ على يده الكثير من اليهود ، مارس الطب ، وعالج الحكام الأيوبيين ، كما عمل طبيبًا لصلاح الدين الأيوبى ، وألف كتبًا كثيرة فى الطب والفلسفة من أهمها كتاب (لــدلائل الحــائرين) ، كما كتب كتابًا فى شرح (المشنا) سمى كتاب (السراج) وهو أقدم كتاب عبرى بعد أسفار الكتــاب المقــدس . وأنشأ مدرسة بالإسكندرية تعد نواة للجامعة العبرية التى أنشئت فى فلسطين ، ولــه فى الــدين كتــاب اسمــه (الفرائض) وفيه عرض للحلال والحرام فى الشريعة الموسوية . وتلقى رسائله الخاصة ضوءًا على تاريخ اليهود فى القرن ١٢م . ولم يثبت ما أشيع عن اعتناقه الإسلام (عجاج نويهض ، بروتوكولات حكمــاء صــهيون ، دار الاستقلال للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٩٦م ، ص٥١٤ – ٥١٥).

(2) كاسترو : أميركو ، إسبانيا فى تاريخها المسيحيون والمسلمون واليهود ، ترجمة على إبــراهيم منــوفى ، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٢م ، ص٥٤١ . وأميركو كاسترو (١٨٨٥ ـ ١٩٧٢) من أبــرز النقــاد والعلمــاء الأسبان ، ولد بإحدى المدن البرازيلية ، وعمل أستاذا جامعيا بجامعة مدريد وعدد من الجامعــات في الولايــات المتحدة الأمريكية .

وفي القرن الحادي عشر ذاع صيت كثير من اليهـود في النحـو العـبري ، وكـانوا يستخدمون البحور العربية في أشعارهم ، في لوسانيا [١] .

تلك الفترة التى عاشها اليهود فى الاندلس فى ظل الإسلام أطلق عليها اليهـود العـصر الذهبى (תור הזהב) وذلك لازدهار اللغة العبرية وآدابها فيها ، حيث استطاع اليهـود – فى هذه الفترة – أن يؤلفوا كتبًا مازالت تعد من أمهات الكتب فى اللغة العبرية وآدابها ، ولم يكن هذا الازدهار الفكرى بين اليهود إلا ثمرة من ثمار الحرية السياسية والاقتصادية والأدبية التى حظى بها اليهود تحت حكم العرب الفاتحين للأندلس .

وطوال العهد الإسلامى لم يتم اضطهاد اليهود المقيمين ، أو إجبارهم على الـدخول فى الإسلام، ولم يقف ذلك عند حد حرية العبادة ، بل تعداها إلى حرية العمل والتملك والحياة الحرة الكريمة . وقد استطاع اليهود خلال العهد الإسلامى تحقيق ثروات ضـخمة نتيجـة استرجاع أراضيهم وأملاكهم التى صادرتها الحكومات المسيحية السابقة ، كما نالوا أعلـى المراكز والمناصب التى منحها لهم المسلمون من وظائف مالية وإدارية مهمة فى الدولة [٢] .

وفي طليطلة كان العرب واليهود يعملون إلي جانب الأسبان والألمان والفرنسيين والإنجليز والبلقانيين .

وفي القرن الثاني عشر قام اليهود بإحداث نهضة شاملة في مجالات الترجمـة والفلـسفة وانتشرت أعمال أرسطو طاليس عن طريق الفلاسفة العرب وابن رشد وابن سـينا تلـك الأعمال التي اعتمد عليها التعليم في ذلك الوقت وجمع بعضهم الطب مع الفلسفة ومثـال على ذلك موسى ابن ميمون أشهر العلماء والفلاسفة اليهود الذى مارس الطب في إسـبانيا ومصر .

وكانت فلسفة أرسطو في ذلك الوقت هي رمز العقلانية الجديدة التي بـدأت تنمـو في العصور الوسطي وقد تطورت وظهرت واضحة في أفكار مارتن لوثر وديكـارت أقطـاب الإصلاح التنويري التحرري [٣] .

---

(1) بحر، مرجع سابق ، ص٣٤ .

(2) محمد بحر ، مرجع سابق ، ص٢٠ ، ٢١ .

(3) برنز يواكيم ، مرجع سابق ، ص٢٦٤ .

والحقيقة فإن الامتيازات التى منحت لليهود فى ظل الحكم الإسلامى فى الأندلس كثيرة ومتنوعة، لكنها ليست هى موضوع دراستنا التى هتم بالوضع اليهودى فى البلاد خلال العصر المسيحى الكاثوليكى الذى شهد محاكم التفتيش "אינקוויזיציה" فى منطقتى إسبانيا والبرتغال ، والأساليب التى اتبعها اليهود فى التعامل معها [١] .

ففى بداية الحكم المسيحى الكاثوليكى للبلاد وبعد نهاية الحكم الإسلامي ، تكونت فى الأندلس عدة ممالك منها قشتالة وأرجون وغرناطة وأشبيلية وسرقسطة وغيرها ، حيث قام اليهود بإعادة نفس الدور الذى لعبوه من قبل مع المسلمين ، وذلك فى سبيل تحقيق مصالحهم، فقد قاموا بمد يد المساعدة للمسيحيين من أجل استعادة إسبانيا والتخلص من الحكم الإسلامى ، باعتباره حرباً مقدسة ، الأمر الذى جعل المسيحيين يوطنون اليهود فى المدن المفتوحة ، بينما كانوا يطردون المسلمين منها .

لكن عندما قوى أمر المسيحية الكاثوليكية فى البلاد ، ونجحت فى طرد المسلمين وإبعاد الإسلام منها ، إزداد الصراع بين اليهود وكل ما هو مسيحى كاثوليكى ، فالمسيحى يعتقد أن اليهودى يطلب دمه لأغراض الطقوس الدينية ، وأنه يقوم بخطف الأطفال المسيحيين ويقوم بقتلهم لهذه الأغراض ، وأنه يتعاون مع العرب المسلمين والتتار أعداء المسيحية ، ومن هنا كان عداء أوروبا لهؤلاء اليهود شديداً ، والذى وصل إلى حد التنكيل والطرد والسجن ، ومصادرة أموالهم ، فحاول اليهود بسبب هذا الاضطهاد استدرار عطف الشعوب ، وجعل أنفسهم فى صورة المعتدى عليه المظلوم . وهناك رأى يقول : إن كثيرًا من الناس ساعد اليهود فى محاولة إقامة وطن قومى لهم . حتى يتخلصوا من شرورهم وتواجدهم فى بلادهم [٢] . وكان العنصر اليهودى هو المفضل عن الإسلامى لدى المسيحى ؛ وذلك لمهارته فى الأعمال الزراعية والإدارية والمالية والعسكرية ، وأيضًا لاستخدامه كعنصر مشارك للجيوش المسيحية على كافة المستويات . وقد ظهر هذا التفضيل للعنصر اليهودى

---

(1) ר' דרורי, "ההקשר הסמוי מן העין: על תוצרים ספרותיים של מפגש תלת-תרבותי בימי הביניים", מעמים מו-מז (תשנ"א), עמ' ٢٨-٩

(2) درويش : هدي ، العلاقات التركية اليهودية وآثرها على البلاد العربية ، الجزء ١ ، دار القلم ، دمشق ، ٢٠٠٢م ، ص٤٠ .

من خلال السماح لليهود بالسكن داخل المدن ، بينما كان المسلمون يسكنون خارجها – مثلما كان الوضع فى سرقسطة عام ١١١٨م .

ومن أهم أسباب تفضيل العناصر اليهودية على الإسلامية ، أن العنصر الإسلامى فى المنطقة كان يشكل قوة كبيرة ، يخشى منها ، وذلك بسبب قوة الدول الإسلامية المحيطة ، والتى كان يمكنها أن تمد يد العون للمسلمين فى أى وقت ؛ وخاصة القوة العثمانية التى كانت تشكل قوة إسلامية كبرى فى ذلك الوقت[١] أما الطوائف اليهودية فى إسبانيا فكانت تشكل وحدات بشرية صغيرة منعزلة ، تابعة للملك مباشرة ويدينون له بالولاء وكان بإمكانه القضاء عليهم فى أى وقت شاء [٢] .

وكان اليهود الأسبان منذ بدايات القرن الحادى عشر يتغلغلون داخل إدارة البلاد ليمثلوا مصدرًا أساسيًّا للثروة لدى المسيحى ، وكان الصراع دائرًا وقويًّا – بين الملوك من جانب ، والكنيسة من جانب أخر – حول الاستفادة من المصدر اليهودى المدر للمال والثروة حيث سَمِحَ لأعضاء الطائفة اليهودية ببناء المعابد لممارسة شعائرهم، واعتلاء الوظائف بهدف تنمية المجتمعات، واستصلاح الأراضى الزراعية، كما استُخدموا سفراء ومترجمين للتراث العربى [٣] .

وكان الحكام المسيحيون الكاثوليك يسندون لليهود مهمة جباية الأموال من الفقراء لصالح الأغنياء المسيحيين ، ومن ثم ظهر العداء الشعبى المسيحى لهؤلاء اليهود المغتصبين أموالهم لحق غيرهم من السادة المسيحيين . أما رجال الدين المسيحى فقد وقفوا موقفًا معارضًا لما يوليه الحكام والملوك الأسبان من مناصب مهمة لليهود ، وقد أدى هذا إلى ظهور صراعات شديدة بين الملوك من جانب، والكنيسة والشعب ورجال الدين من جانب آخر استمرت ما يقرب من أربعمائة عام[٤] .

---

(1) סיכום (היהודים בספרד בין איסלם לנצרות)
עימות בין מוסלמים לנצרות www.tzafonet.org.il ٢٠-٣-٢٠٠٧.

(2) ظاظا : حسن ، الفكر الدينى اليهودى ، دار القلم ، دمشق ، ١٩٩٩م ، ص ٢٥٨ .

(3) סיכום (היהודים בספרד בין איסלם לנצרות) .

(4) كاسترو ، أميركو ، مرجع سابق ، ص ٥٨٣ .

ومما زاد من حدة هذا الصراع ان اليهود فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر كانوا يمتلكون ثلث الأراضى فى مقاطعة برشلونة ، ولهم حقوق أكثر من السكان المسيحيين الأصليين أنفسهم ، ولكل بلاط ملكى طوائف كثيرة من اليهود تعمل داخله [١] . كما برز الدور اليهودى في إسبانيا في علوم الفلك لقرون امتدت من القرن الثالث عشر حتى الخامس عشر خاصة في عهد الملك ألفونسو العاشر وفى عهد بدروا الثالث ملك أرجون حيث نجد بروز شخصيات يهودية شهيرة فى علم الفلك [٢] . وكان اليهود يقومون بقراءة الطالع للملوك عند تتويجهم ، كما كانوا يقومون بنقل العلوم الجغرافية العربية إلي البرتغاليين خلال الفترة من ١٣٧٥ ــ ١٣٨٥م عن طريق رسم الخرائط [٣]. كما أفاد اليهود الأسبان ، الأجانب الذين كانوا يفدون إلي طليطلة بهدف معرفة المخطوطات العربية التي قام بترجمتها هؤلاء اليهود الذين كانوا يعملون في مجال الترجمة والذين كانوا ناقلين للفلسفة والفلك والرياضيات والطب من العرب[٤] وكان ذلك علي عهد ألفونسو العاشر الذي اهتم كثيراً بالحياة الثقافية في ذلك الوقت ، إلى جانب الاهتمام بالعلم والعلماء اليهود وترجماتهم من العربية إلي اللغة القشتالية ، وخرجت أعمال مهمة مثل كتاب " القوانين " "والتاريخ العام" وهي ترجمات لكتاب يهود مجهولة المؤلف وكان يوضع عليها اسم الملك ألفونسو العاشر [٥].

ونتيجة للتغلغل اليهودى فى البلاد أصدر المجمع الكنسي الرابع في عام ١٢١٥ قراراً آخر يقضى بحمل اليهود علامة متميزة ليتم تمييزهم عن المسيحيين ، إلا أن اليهود عارضوا هذا القرار وهددوا بالذهاب إلي قطاع المور (المسلم) ذات المساحات الشاسعة ، الأمر الذي أدي بالملك فرناندو الثالث وأسقف طليطلة بتقديم التماس للبابا بإلغاء القرار ، وقد قبل الباب أونوريو الثالث ذلك الرجاء عام ١٢١٩[٦] .

---

(1) المسيرى ، عبدالوهاب ، موسوعة اليهود واليهودية ، مجلد ٤ ، جزء ٣ ، باب ٣.

(2) كاسترو أميركو ، مرجع سابق ، ص٥٤٢

(3) كاسترو ، مرجع سابق ، ص٦٣٣ .

(4) نفسه ، ص٥٤٤ .

(5) نفسه ، ص٥٦٠ ، ٥٦١ .

(6) كاسترو أميركو ، مرجع سابق ، ص ٥٧٥

وفي عام ١٤١٨ هدد الملك أساقفة سرقسطة بقطع المؤن الدورية عنهم بسبب بيان الأسقف الصادر بإغلاق الأبواب والنوافذ الخاصة بالمنازل اليهودية التي تطل على الجزء المسيحي للمدينة وارتداء اليهودي زيًّا خاصاً [1] . وحتى القرن الخامس عشر كان فى شبه جزيرة أيبريا ما يقرب من ٧ أو ٨ مليون نسمة ، وكانت أعداد اليهود فيها لا تتجاوز ٢٣٥ ألف ، مما يدل على أن أهمية اليهود تكمن فى الأعمال التى كانوا يؤدونها وليس فى تعدادهم [2] .

وخلاصة القول أن الفترة من القرن العاشر حتى الخامس عشر شهدت إسبانيا سياقاً مسيحيًّا إسلاميًّا يهوديًّا وكل منهم كان يؤثر فى الآخر تأثيراً لا يمكن فصله عن بعضه [3]

---

(1) نفسه ، ص٥٧٦ .

(2) نفسه ، ص ٦٤٩ .

(3) نفسه ، ص٥٣٨ .

الفصل الأول

المارانوس اليهود ومعضلة التحول إلى المسيحية

بدأ ظهور ما يعرف بـ المارانوس (اليهود المتنصرون) فى عام ١٣٩١م حينما قامت المظاهرات والاحتجاجات الشعبية المسيحية ضد ممارسات اليهود فى الدولة ، نتيجة لاستحواذهم على المناصب المهمة فى البلاط الملكى ، وتملكهم الأعمال المهنية والحرفية فى البلاد ، وسيطرهم على النشاط التجارى والمالى ، وتدخلهم فى المراكز الحيوية بالدولة الخاصة بالمسيحيين ، إلى جانب استخدامهم الربا والرشوة فى المجتمع ، حيث ظهروا بشكل المتفوق على المسيحى ، ولهذا فقد أصدرت الحكومة ضدهم أحكامًا إما بالموت أو الصلب ، ومن ثم بدأت تنشأ فى البلاد موجة من أعمال العنف ، نتج عنها قتل وإصابة كثير من اليهود مما أدى إلى تنصر أعداد كبيرة من اليهود .

ونتيجة لتصاعد اضطهاد اليهود من جانب المواطنين المسيحيين، ترك العديد من اليهود إسبانيا، ومن بقى منهم قاموا بتغيير عقيدهم للمسيحية ، حيث تكونت لديهم هويتان ، اليهودية الأصلية الباطنية ، والأخرى المسيحية الشكلية والتى قادهم الى الخيانة ، فظهر منهم من خان إخوانه أبناء دينه من اليهود حفاظاً على مركزه ، ومنهم من طاردهم ، ومنهم من أوحى بإنشاء محاكم التفتيش ضدهم [1] . ومن ناحية أخرى قام اليهود بمحاولة التسلل إلى صفوف الرهبان ، فأصبح منهم البطاركة والمطارنة الذين كانوا يتظاهرون بالتعصب للمسيحية ، بينما ينشرون مبادئهم اليهودية سرًا بين صفوف النصارى ، كما قاموا بمحاولة التغلغل إلى حريم ومصارف الشعب الإسبانى بقصد التخريب .

ومن ناحية أخرى سادت بين اليهود فى تلك الفترة أفكار فلاسفة اليونان – أمثال أفلاطون وسقراط– والتى رأوا فيها أنها مطابقة لقواعد اليهودية وأوامرها ، كما ادعى حاخامات اليهود أن النظريات اليونانية هى نفس ما جاء فى دين اليهود ، وأن الفلسفة التى

---

(1) كاسترو ، مرجع سابق ، ص٦٠٥.

سادت الغرب ، ترجعُ أصولها إلى اليهود وشريعة التوراة . وكانت نظرياتهم هذه تهدف إلى السيطرة والسيادة على الشعوب فصدرت الاتهامات ضدهم بالهرطقة من الجانب المسيحي ، وأصبح مجرد الاحتفاظ بكتاب لأفلاطون أو أرسطو جريمة لا تغتفر ، يعاقب عليها القانون ، وقد حدثت هذه الحركة الفكرية خلال القرن الرابع عشر، واستمرت حتى القرن السابع عشر .

وقد بدأ ظهور المارانوس – وهم اليهود الذين اعتنقوا المسيحية – كمصطلح للتعبير عن المتنصرين عمومًا ، وهو لفظ يحمل هجومًا واستفزازًا وامتهانًا لمن يطلق عليه هذا اللقب ، إذ أنه يعني "الخنازير" .

المارانوس لغة واصطلاحا :

عُرف اليهود الذين تنصروا فترة الحكم المسيحى الكاثوليكى للأندلس باسم الـ "أنوسيم" " אנוסים " وهى كلمة عبرية معناها "المضطرون" أو "المكرهون" أو "المغلوبون على أمرهم" ، لأجل تغيير دينهم إلى المسيحية ويسمون بالإسبانية "كونفيرسوس" بمعنى المعتنقين للدين ، وكان البرتغاليون يسمونهم "كريستاوس نوفوس" ويعنى المسيحيين الجدد הנוקרים החדשים [1] .

كما يشار إليهم باسم التشويتاس (קואטס) [2] فى جزيرة مايوركا [3].

وقد اختُلف فى أصل كلمة "مارانوس" ، فقيل إنها تحريف من كلمتين تبدأ بهما صلاة مسيحية بالآرامية، هما "مارن – آث" (מ רך אנת) ومعناها "أنت مولانا" والخطاب بهما موجه إلى المسيح. حيث كان يفرض على اليهودى الأندلسى الأصل أن ينطق بهما كثيرًا لإبعاد الشبهة عن نفسه ، ثم أصابهما التحريف فصارتا "ماراناس" ثم مارانوس .

وهناك رأى آخر يقول أن أصل التسمية بالعبرية هو كلمة "מומר" (مومار) أي "مارق" وتضاف اللاحقة الإسبانية "אנו" (انو) لتصبح "מומרנו" (مومارنو) ثم صارت "מרנו" (مارانو).

---

(1) האינציקלופדיה העברית כרך רביעי . הוצאת ספרית פועלים .١٩٨٨. ע ٣٥٥-٣٥٦ .

(2) تشويتاس Chuetas من كلمة "تشويا" وتعنى "لحم خنزير" بلهجة جزيرة مايوركا ، إحدى جزر الباليارىك التابعة لإسبانيا ، غيرأن هناك نظرية أخرى تذهب إلى أن الكلمة مشتقة من كلمة "تشوهينا" وتعنى "يهودى" بلهجة الجزيرة .

(3) האינציקלופדיה העברית כרך רביעי (אנוסים) .

وكلمة "مارانوس" فى الإسبانية والبرتغالية والفرنسية تعنى : المنافق ، والخائن ، والدنيء ، واللص ، والكذاب ، ونحو ذلك من صفات اللؤم والخسة [(١)].

ويرى البعض الآخر أن الاسم " marrano" مارانو يرجع إلى الكلمة العربية محرم "מוחרם" وهو تعبير يطلقه المسلمون على حيوان الخنزير"החזיר" ، فعلى الرغم من أن كلاً من الديانتين الإسلامية واليهودية تحرمان تناول لحم الخنزير، إلا أنه تم إطلاق لفظ المارانوس على كل المتنصرين الذين اعتنقوا المسيحية من خارج البلاد ، بينما أبطنوا دينًا آخر كما أطلقوه أيضًا على كل من يحرم على نفسه تناول لحم الخنزير[(٢)] .

وورد فى الموسوعة اليهودية في اشتقاق هذا الاسم عدة أقوال : فقيل أنها ترجع إلى «ماترانثا» وهي كلمة إسبانيا معناها «الملعون» ، وأيضا بمعنى «المُرائي» وهي كلمة عربية معناها «منافق» ، ونجد مرادفًا لهذا المعنى فى العبرية بتعبير«مارئيت عيين» (מראית עין) ومعناه «ظاهر للعين»، بمعنى أنه يُظهر المسيحية ويبطن اليهودية، كما أطلق عليه فى العبرية «محوّرام أتاه» (מחרם אתה) ومعناه «أنت مطرود من حظيرة الدين» [(٣)] .

ولم يكن هذا المصطلح شائعاً في الأوساط الرسمية، ولم يرد في أي من الوثائق الرسمية[(٤)] .

وكلمة "مارانو" باللهجة العامية الإسبانية القديمة معناها "الخنزير"، فتكون "مارانوس" صفة ذم لكل الذين دخلوا الدين المسيحى وهم غير أوروبيين ولا ينحدرون من أصول لاتينية ، ويلاحظ أن ذلك المعنى كان يطلق على العرب الذين ظلوا فى الأندلس بعد قيام المسيحية ، ودخلوا المسيحية[(٥)].

---

(1) ظاظا : حسن : مرجع سابق ، ص٢٥٧ ، ٢٥٨ .

WWW.wikipedia.org (2)

(3) jewish encyclopedia , Marano

(4) WIKPEDIA.COM

(5) האינציקלופדיה העברית . ע ٣٥٥-٣٥٦ .

المبحث الأول

آليات القوة اليهودية في إسبانيا والبرتغال

يطلق على اليهود الذين هاجروا إلى شبه جزيرة ايبريا التى تضم إسبانيا والبرتغال " السفارديم " [١] وكانوا يتحدثون بلغة اللادينو التى تعتمد على أصول لاتينية إلى جانب بعض المصطلحات العبرية وكانت اللادينو هى اللغة الرسمية فى الجامعات والمدارس فى إسبانيا فى القرون الوسطى وهى مركبة من اللاتينية والاسبانية [٢] .

وقد سبق القول أن الملوك الكاثوليك ورجال البلاط فى إسبانيا اعتمدوا على اليهود كمصدر أساسي للمال، حيث أدى ذلك إلى حدوث صراع حاد بين الملوك من جانب ، والكنيسة والشعب من جانب آخر ، بسبب الرغبة فى البقاء اليهودى فى البلاد ؛ وقد استمر

---

(1) يطلق اسم سفارد أو صفارد على إقليم لعله آسيا الصغرى ، نقل إليه نبوخذ نصر بعض اليهود فى ٥٩٧ق.م ثم أطلق اللفظ بعد ذلك على بلاد إسبانيا – (ول ديورانت ، قصة الحضارة ، ص٥٠) ، وذكر أيضًا لفظ صفارد فى سفر عوبديا ما نصه : "وسبى هذا الجيش من بنى إسرائيل يرثون الذين هم من الكنعانيين إلى صرفه ، وسبى أورشليم الذين فى صفارد يرثون مدن الجنوب ، ويصعد على جبل صهيون ، ليدينوا جبل عيسو ، ويكون المُلك للرب (سفر عوبديا) (الكتاب المقدس ، فصل ٢ ، ص١٣١٤ ، طبعة ١٩٩٥م .

وقد أطلق السفارديم على يهود إسبانيا وهم من نسل قبيلة بنيامين ، والسفارديم يدعون أنفسهم (باراستقراطية) اليهود على الأساس الدينى الذى ينتمون إليه (حمدان : جمال ، اليهود أنثروبولوجيا ، المكتبة الثقافية ١٦٩ ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ، شباط – فبراير ، ١٩٦٧م ، مرجع سابق ، ص٢٣) .

وفى إسبانيا الإسلامية تأثر اليهود السفارد فى عباداتهم وتلاوتهم وتراتيلهم بالذوق العربى ، وانفردوا بنصوص شعرية ونثرية فى أدعيتهم وصلاتهم وكانت قريبة الشبه بما عند المسلمين ، وتم اعتبار عبرية السفارد اللغة الرسمية للمسرح والإذاعة ، وكانت لغة التعليم فى المدارس ، ويهود العالم العربى من السفارد ، وكانوا فى بادئ الأمر يتكلمون العربية حتى القرن ١٣ ثم تكلموا الإسبانية (أحمد سوسة ، العرب واليهود فى التاريخ ، العربى للطباعة والنشر والتوزيع ، ط٧ ، دمشق ، ص٦٩٩) ؛ كما أن يهود إيران كانوا من السفارد (حسن ظاظا ، الفكر الدينى الإسرائيلى ، أطواره ومذاهبه ، قسم البحوث والدراسات الفلسطينية ، طبعة ١٩٧٥م ، ص٢٤٦ – ٢٤٧)؛ أنشأ السفارديم لأنفسهم حياة خاصة ، وكانت لهم طقوس دينية متميزة ، وكانت أعدادهم فى الدولة العثمانية تفوق جميع الهيئات الدينية الأخرى ، حتى إنهم تزعموا هناك كافة الملل ، (كمال حبيب : المجتمع الإسلامى والغرب ، س.ذ : ٢ / ٣٤٩ ، ٤١١ ، نقلاً عن هاملتون جب وهارولد بوون) .

ويتميز السفارديون عن الإشكنازيين فى الثقافة بسبب استفادتهم من العرب فى الأندلس .

اما الإشكنازيون فكانوا منطوين على أنفسهم ، وكانت أعلى الطبقات المرفهة من اليهود من السفارديم ، وكانوا يعدون أنفسهم أرقى ثقافيًا وأعلى من الإشكنازيين (أحمد سوسة ، مزجع سابق ، ص٧٠٠) .

(2) ظاظا ، مرجع سابق ، ص٢٣ ، وهدى درويش ، العلاقات التركية اليهودية ، مرجع سابق ، ص٤٠ .

هذا الصراع داخل البلاد بين السلطتين الملكية والدينية على مدى أربعة قرون ، حيث مثّل صراعًا بين التقدميين (الملوك والنبلاء) من جانب والرجعيين (رجال الدين المحافظين والشعب) من جانب آخر حول أوضاع هؤلاء اليهود .

قوة اليهود على المستوى السياسي فى الأندلس :

كان للتنصر اليهودى جذور قديمة فى إسبانيا منذ الحكم المسيحى السابق للإسلام ، ففي عام ١٠٩٦ أثناء الحملة الصليبية الأولي إضطرعدد كبير من اليهود الى دخول المسيحية والتعميد ، وعندما زال الخطر رجعوا إلي اليهودية ، وفي مدينة طليطلة وبعد حمامات الدم التي شهدها أشبيليه عام ١٣٩١م تحولت مئات من الأسر اليهودية إلي المسيحية تحولاً ظاهريًا ، إلا أنهم كانوا يختنون أطفالهم سرًا ويتقيدون بشرائع السبت ويشتغلون يوم الأحد، ويجرمون السيدة مريم ويطلقون عليها "الخاطئة" ، وكانوا يدفنون موتاهم حسب الشريعة اليهودية [١] .

وقد وجد الملوك الأسبان أن الوجود اليهودى يحقق لهم مصالحهم الشخصية، الأمر الذى جعل الملوك يمنحوهم حريات وحقوقًا مقابل ما يؤدونه من خدمات للبلاط الملكى ، ومثال على ذلك تلك الحقوق التى منحها لهم الملك ألفونسو العاشر عام ١٢٦٣ حيث حرم تهمة الدم "עלילת דם" [٢] ، ومنع أية مضايقة لهم يوم السبت ، أو تعطيلهم عن أداء شعائرهم، حتى لو وُجدت أسباب قانونية شرعية لذلك ، وكانت غرامة قتل اليهودى تعادل الغرامة التى تُدفَع عن قتل فارس أو قس [٣] .

---

(1) برنز يواكيم ، مرجع سابق ، ص٤٦ ، ٤٧ .

(2) «تهمة الدم» "עלילת דם" أو" Blood Libel " وهي اتهام اليهود بأنهم يقتلون صبيًا مسيحيًا في عيد الفصح سخرية واستهزاء من صلب المسيح. ونظراً لأن عيدي الفصح المسيحي واليهودي قريبان ، فقد تطورت التهمة وأصبح الاعتقاد أن اليهود يستعملون دماء ضحيتهم في شعائرهم الدينية وفي أعيادهم ، وبخاصة في عيد الفصح اليهودي ، حيث أشيع أن خبز الفطير غير المخمر (מצות) الذي يُؤكل فيه يُعجَن بهذه الدماء. وقد تطورت الإشاعة، فكان يُقال أن اليهود يُصفّون دم ضحاياهم لأسباب طبية أو لاستخدامه في علاج الجروح الناجمة عن عملية الختان ، (WWW.wikipedia.org) .

(3) المسيرى : موسوعة ، مرجع سابق ، مجلد ٤ ، جزء ٣ ، باب ٣ .

ولأجل مواجهة التجاوز الملكي لليهود فقد صدر قرار فى مجمع كنسى فى سامورة عام ١٣١٣ بناء على قرار سابق فى مجمع فينا ، يقضي بمعاقبة اليهود بألا يكون لهم وظائف أو مزايا يمنحها لهم الملوك أو الأمراء ، وألا يمارسوا مهنة الطب على المسيحيين مهما كانت درجة مهارتهم ، وألا يلجأوا إلى ممارسة الربا مع المسيحيين [١] .

وعلى الرغم من صدور تلك القرارات ضد اليهود إلا أنها لم تصل إلى حيز التنفيذ بسبب حماية الملوك لليهود [٢] .

وقد بلغت قوة المتنصرين اليهود إلى حد الوقوف ضد مصالح اليهود الآخرين فى سبيل مصالح البلاط الملكي بهدف إظهار صدقهم لهم ، حيث عملوا خدما ورؤساء للخدم لدى الملوك والأمراء والأساقفة ورؤساء الأديرة المسيحية حتى عام ١٤٩٢م ، وكان لليهود دورهم في تمويل القوات والقيام بدور الوسيط الدبلوماسي والمالي فى البلاد إلى جانب دورهم الاستخبارى وأمور التجسس لصالح الملوك والحكام المسيحيين [٣] .

وكان اليهود يمثلون الوسيلة السريعة للحصول علي الأموال للملوك للمسيحيين ، وقد ازداد الاحتياج لليهود في القرن الرابع عشر حيث قام إنريكي الثاني بمطالبة النواب في برغش عام ١٣٦٧ حينما اعترضوا على منح اليهود مزايا يجب ان تكون للمسيحى فقال :

"فيما يتعلق بما قلتم ... بأننا أجرنا لليهود الديوان والمتأخرات الواجبة على قرى ومدن مملكتنا، وأننا لم نتحدث عما يدين به لنا من يقومون بالتأجير ، والتحصيل ، وأن الأمور لو ظلت كذلك فسوف يكون هناك عصيان ، وسوف يقبل الناس على هذه الأرض ، وأن علينا القيام بتأجير كل ما سبق للمسيحيين ... نقول ردًا على هذا حقًا لقد أجرنا ذلك لليهود ؛ لأننا لم نجد أحدًا آخر يتولى المهمة ، وأجرنا لهم ذلك شريطة ألا يُضايقوا أحدًا .. فإذا ما أراد أحد المسيحيين ، فإن العائد سوف يكون أقل بكثير مما لو أجرنا لليهود" [٤] .

ومن التصريح السابق يظهر لنا مدى حماية الملوك لليهود حفاظًا على مصالحهم .

---

(1) كاسترو : أميركو ، مرجع سابق ، ص٥٧٩ .

(2) نفسه ، ص٥٨٠ .

(3) نفسه ، ص٥٧١ .

(4) كاسترو أميركو ، مرجع سابق ، ص ص٥٧١ ، ٥٧٢ .

القوة الاقتصادية لليهود فى إسبانيا والبرتغال :

منذ القرون الأولي للميلاد اشتهر اليهود بأمور الصرافة وامتلاك البنوك وضرب النقود فعلي سبيل المثال عرف برسكوس اليهودي ضارب النقود في القرن السادس الميلادي وأيضاً جدعون اليهودي في القرن العاشر، وسيمون وسلمان في القرن الثانى عشر وغيرهم [١] وقد ظل هذا الأمر حتى أصبح القرنين ١٧، ١٨ العصر الذهبي لضاربي النقود اليهود، وكان الملك فردريك ملك بروسيا يتعامل معهم رغم معاداته للسامية واليهود [٢] .

وقد أدى ذلك إلى ارتفاع قيمة ضاربي النقود اليهود إلي مراكز رجال البلاط الملكى وكانوا يتصلون بالحكام ببساطة ، وكانت أبواب القصور مفتوحة لهم في كل وقت رغم الجيتو الذي كانوا يعيشون فيه ؛ وذلك لكونهم أصحاب نفوذ تجاري واجتماعي واقتصادي، وكانوا يمتلكون قصوراً تضاهي قصور النبلاء المسيحيين، الأمر الذى أدى إلى احتجاج الطبقات المسيحية الشعبية الفقيرة حيث بدأت تتآمر ضدهم بسبب الغنى والثروة التي يتمتعون بها [٣] .

ويمكن القول أن النشاط الاقتصادى فى القرون الوسطى كان هو العصب المحرك لليهود، فاليهود بارعون فى التصرف بالأموال وتحقيق الربح السريع ، وقد ظهر هذا الأمر واضحًا فى الأندلس حيث كان منهم ، الصاغة والصيارفة وأصحاب البيوت المالية والتجاريين، وكان رجال المال من اليهود لديهم صلاحية ضرب النقود فى القرون الوسطى ، ويؤلفون طائفة لها أهمية تفوق أهمية مرتبة النبلاء ، حتى أصبحوا فى مركز رجال البلاط ، ويحق لهم الاتصال بالحكام بحرية تفوق معظم النبلاء ، وكان هؤلاء التجار اليهود لهم أعمال تجارية ضخمة فى البحر المتوسط ، فكانوا يجوبون الشرق والغرب ، بحرًا وبرًّا ، لجلب كل أنواع التجارة ، ويتكلمون العربية والفارسية والرومية والإفرنجية والأندلسية والصقلبية [٤] .

---

(1) برنز يواكيم ، مرجع سابق ، ص١٣ .

(2)المرجع نفسه ، ص٣٧ .

(3) برنز : يواكيم ، مرجع سابق ، ص ٣٤ ، ٤٢ .

(4) نفسه ، ص٣٧ – ٣٩ .

وكان تحصيل الضرائب وتزويد المال بالمال تجارة رابحة بين اليهود في ذلك الوقت . فتميز تعاملهم المالى مع الآخرين بالربا على الرغم من تحريم هذا التعامل فى نصوص العهد القديم[١] حيث مارس اليهود الربا على مستوى كبير ، حتى إن أفراد الشعب اضطروا لبيع ممتلكاتهم لأجل سداد الربا ، وقد أدت هذه الأمور إلى تفاقم كراهية الشعب المسيحى لليهود[٢] .

ويلاحظ أن نشاطات اليهود فى الاقتصاد فى ميادين التجارة والإقراض بالربا لا تزال مستمرة حتى يومنا هذا ؛ حيث اقترن تاريخ اليهود الاقتصادى طوال مسيرتهم بالربا . مما سهل للمتنصرين اليهود الوصول إلى منصب البابوية عن طريق تحكمهم فى مصادر الثروة حيث خدم اليهود كمستشارين ماليين لكثير من البابوات .

وكان أساس اقتصاد إسبانيًا قائمًا على الاقتصاد اليهودى ، حيث تغلغل اليهود فى المرافق التجارية والصناعية ، واستطاعوا أن يكونوا مركزًا مهمًّا من مراكز الثروة فى البلاد . وكان لليهود قدرة على الإنتاج تنعدم لدى المسيحى الإسبانى فى أمور المال ، وكان الملوك ورجال الدين المسيحى يوكلون لليهود مهمة جباية الضرائب ، واستثمار الأموال ، كما أولوهم مسئولية تولى الخزانة الملكية ، وكان لليهود دور كبير فى تمويل القوات المحاربة وقت حرب الاسترداد وذلك من خلال براعتهم فى تجارة الأسلحة [٣] ، ولم يكن المسيحى فى ذلك الوقت يعنيه سوى السيادة على الأرض؛ لذا فقد ترك أمور التجارة والصناعة لليهود لمهارتهم فى القيام بدور الوسيط من أجل تحصيل الأموال للملك أو لعلية القوم من عامة الشعب[٤] .

ونضرب بعض الأمثلة على محاباة الملوك لليهود بهدف المنفعة التى يجنونها من وراء ذلك :

---

(1) ورد فى سفر الأمثال : ٢٨ / ٨ ، [المكثر ماله بالربا والمرابحة ، فلمن يرحم الفقراء يجمعه] ، وجاء فى سفر حزقيال : ١٨ / ٨ ، [ولم يعط بالربا ولم يأخذ مرابحة وكف يده عن الجور وأجرى العدل الحق بين الإنسان والإنسان] .

(2) كاسترو أميركو ، مرجع سابق ، ص٦٠٩ .

(3) حرب الاسترداد هى التى قام بها المسيحيون من أجل القضاء على الحكم الإسلامى فى البلاد وإعادته إلى الحكم المسيحى الكاثوليكى .

(4) كاسترو ، مرجع سابق ، ص٥٧١ .

• كانت ديون رجال الدين اليهودى مرتفعة للدرجة التي جعلت المقترضين من رجال الدين يلجأون إلي البابا لسد ديونهم من خلال صكوك الغفران التي تعفيهم من رد الديون لأصحابها ونتيجة لذلك ، أصدر الملك قراراً وتهديدًا إلى رجال الدين بمنع إلغاء الديون بقوله:

"أنتم تعرفون أن اليهود وما معهم لي، فأي غبي يلحق ضررًا باليهود سوف يقوم الملك بمعاقبة رجال الدين بدفع ضعف المقابل" [1].

• وفى عام ١٣٩٠م وصلت التجاوزات الملكية حدًا كبيرًا فى سبيل المحافظة على الوجود اليهودى من أجل مصالحهم المرتبطة بهم ، ومن ناحية أخرى كان اليهود على استعداد للتضحية بكل شيء فى سبيل البقاء ، فكانت المصالح متبادلة بين الطرفين ، وقد وصل الأمر باليهود الذين حرصوا على مصالحهم فى البلاد أن قاموا بخيانة يهود منهم ، حتى قيل إن بعض هؤلاء المتنصرين اليهود كانوا السبب فى إنشاء محاكم التفتيش ، بل كان منهم أعضاء رئيسيون فى تلك المحاكم[2] .

• وفي عام ١٤٨٨ منح الملوك الكاثوليك تصريحاً لصموئيل أبي العافية بأداء خدمات للمساعدة في حرب الاسترداد التي دارت في غرناطة ، وكان كل عضو في البيع اليهودية يسهم بمبلغ من المال لصالح خزانة الملك ، وكانت إسهامات البيع اليهودية في قشتالة خلال حكم ألفونسو العاشر تصل إلي سته آلاف مرابطي (وحدة عملة) [3] ومن هنا نجد سر حماية الملوك الكاثوليك لليهود .

• كانت البيع اليهودية هى المصدر الأساسى للثروة ؛ ولأجل هذا فقد حظى اليهود بحماية الملوك حتى صدور قرار طردهم ؛ فكان ألفونسو الثالث ملك أرغن يأمر قضاة الإقطاعيات التابعين له أن يتصرفوا مع اليهود "بحكمة" وذلك فى عام ١٣٢٨م ، وكان الملوك السابقون متسامحين مع اليهود إلى حد كبير لأجل المصلحة والمنفعة التى تعود عليهم من اليهودى، وكانت كنيسة روما تتسامح معهم لكونهم خدم الملوك وجباة الضرائب لديهم[4] .

---

(1) كاسترو ، مرجع سابق ، ص٥٧٩ .

(2) المرجع نفسه ، ص٦٠٥ .

(3) نفسه ، ص٥٧٤ .

(4) كاسترو ، مرجع سابق ، ص٥٧٥ .

• كان اليهود على علاقات تجارية وطيدة بشمال أفريقيا ، التى كانت بمثابة محطة انتقال من بلاد الشرق إلى إسبانيا نظرًا للتقارب الجغرافي بين إسبانيا والشمال الإفريقي فأصبح اليهود وسطاء تجاريين بينهما، ومن المعروف أن عددًا من يهود إسبانيا عاشوا في القيروان لأغراض تجارية، وقد أدى هذا التقارب إلى إتمام صفقات تجارية بين تلك المناطق في وقت قياسي ، كما كانت الطائفة اليهودية في شمال أفريقيا وسيطًا بين يهود إسبانيا والجاءونيم في العراق [١] .

• قام الملك "ألفونسو الخامس" بإعادة بناء الكنيس اليهودى فى سرقسطة عام ١٤١٧م، لأجل إرضاء اليهود .

• وفى عام ١٤١٨م ، قام الملك فرناندو بتأنيب رئيس دير "سبيو" فى "سرقسطة" لمعاملته القاسية لليهود قائلاً : "إنهم كنزنا وميراثنا" وكان الملوك الأسبان يحاولون كبح مشاعر العداء تجاه اليهود من قبل الشعب المسيحى ورجال الدين [٢] .

ونتيجة لحماية الملوك فقد بلغت قوة اليهود المالية حدًّا كبيرًا للدرجة التى جعلتهم يهددون الملك فرناندو الثالث فى بداية القرن الثالث عشر بمغادرة البلاد إذا ما أجبروا على حمل "رمز" يميزهم عن المسيحيين غيرهم ، وقد أذعن الملك لطلبهم، وطلب من البابا ، العفو عنهم حتى لا يتم تنفيذ القرار ، معربًا أن ذلك "من أجل مصلحة الشعب والكنيسة والملك"[٣] .

• استطاع اليهود القيام بأعمال التجسس لصالح الدول التى يقيمون فيها وكان لديهم القدرة على توصيل المعلومات بسرعة غير متوفرة عند غيرهم ، وذلك من خلال حلقة الاتصال اليهودية بين يهود المارانوس المنتشرين في أوروبا الغربية والدولة العثمانية وإسبانيا والبرتغال [٤].

(1) אברמסון، ר"ח = ש' אברמסון، פירוש רבנו חננאל לתלמוד، ירושלים תשנ"ה. עמ' ٧٨-٧٩ و א' אשתור، קורות היהודים בספרד המוסלמית، ירושלים ١٩٦٦، עמ' ٨٧ و מ' בן-ששון، צמיחת הקהילה היהודית בארצות האסלאם، ירושלים תשנ"ו.עמ' ٣٨-٣٥، ٧٨-٧٤، ٢٢٩-٢٢٨، ٢٩٢، والجاءونيم " גאונים" ومفردها جاءون גאון لقب يطلق على رؤساء المدارس الدينية (www.wikipedia.org) .

(2) كاسترو ، مرجع سابق ، ص٥٧٦ .

(3) كاسترو ، مرجع سابق ، ص٥٧٨ .

(4) المسيرى ، اليد الخفية ، مرجع سابق ، ص١١٤ .

وتوجد حالات عديدة قام بها يهود المارانوس بالتجسس لصالح الدولتين الأسبانية والبرتغالية[١]

ويظهر مدى تفنن اليهود في خلق مكانة مرموقة لأفرادهم داخل الحكومات، واستخدامهم للمال والثروة لتثبيت أقدامهم ، ليس في المجتمع فقط ، وإنما داخل البلاط الملكي ، وبين الأسر الحاكمة متخطين كافة الحواجز ، حتى إن القوانين التى كانت تصدر ضدهم من أجل تقليص دورهم ، كانت دائمًا تتهشم على جدار المال والثروة اليهودية .

وقد كونت الجماعات اليهودية في هذه المرحلة شبكة علاقات تجارية على مستويين: دولي متقدم، ومحلي بدائي .فكان كبار الممولين اليهود على اتصال تجارى قوى بالدول المختلفة، وكانوا يسدون بين احتياجات الأمراء للأموال وحاجات الجيوش للتمويل. وكان اليهود يقومون بتدبير المعادن النفيسة وأي كمية من الذهب يريدها الإمبراطور أو الأمير، ويعدون له التمويل اللازم للحملات العسكرية ، وذلك في أسرع وقت ممكن رغم ظروف الحرب.

وكان يهود المارانوس يرون أنهم يملكون ما يقدمونه للدول الغربية على الصعيد التجاري والمالي العالمي، ولهذا استمروا في التخفي حتى يستفيدوا من الفرص الاقتصادية المتاحة أمامهم، إذ كان تهودهم يعني فقدانهم إياها. ولذا نجد أن كثيراً من المارانوس حرصوا على البقاء في شبه جزيرة أيبريا بحثاً عن الفرصة الاقتصادية، وحفاظاً على أملاكهم من المصادرة، مؤثرين ذلك علي الهجرة إلى بلد بروتستانتي أو إسلامي يمنحهم حرية العبادة ولا يمنحهم الفرصة الاقتصادية ذاتها .

كما أن كثيراً من يهود المارانوس الذين هاجروا إلى دول جديدة استمروا فى على علاقات مع المؤسسات التجارية في إسبانيا والبرتغال، ومع أعضاء أُسرهم الذين تنصروا بالفعل. وكان الحكام الأسبان والبرتغاليون يستفيدون من خبراتهم واتصالاتهم الدولية، وبنفوذهم ورأسمالهم، رغم اضطهاد الكنيسة والشعب .

هذا وقد لعب المارانوس دوراً مهما وفعالا في تأسيس الشركات التجارية والاستيطانية الكبرى، مثل شركة الهند الشرقية وشركة الهند الغربية الهولنديتين، وساهموا في تأسيس شركات منافسة أسسها البرتغاليون ليخرجوا الهولنديين من البرازيل. كما أسس المارانوس ،

---

(1) المرجع نفسه ، ص١١٥ .

بما لديهم من خبرة مالية، شركات تأمين والعديد من المصارف، حيث كانوا ذوي شهرة في التعامل مع بورصات الأوراق المالية. وأسسوا مصانع للصابون والأدوية، وساهموا في صناعة السلاح وبناء السفن. واحتكر المارانوس التجارة الدولية في سلع مثل المرجان والسكر والأحجار النفيسة، كما اشتغلوا بتجارة الرقيق بسبب وجود أعداد منهم في أوروبا والعالم الجديد ومستعمرات البرتغال في إفريقيا التي كانت تعد مصدراً رئيسًا للعبيد[١].

ويوجد عاملان أساسيان ساعدا على تبوء المارانوس لهذه المكانة المالية الضخمة فى إسبانيا والبرتغال وهما أن المارانوس كونوا أول شبكة تجارية عالمية وأول نظام ائتماني في العصر الحديث كان يربط بين معظم أطراف العالمين الإسلامي والمسيحي بشقيه الكاثوليكي والبروتستانتي. وامتد نشاطهم إلى العالم الجديد، حيث ارتبطوا بكثير من المشروعات التجارية للاستعمار الغربي. كما تزامن انتشارهم مع بداية علمنة المجتمع الغربي وظهور الحكومات المطلقة التي كانت تأخذ بالمنفعة والولاء لها ، وليس بالانتماء الديني معياراً للحكم على الأفراد[٢].

وتجدر الملاحظة أن التجارة التي اشتغل بها المارانوس كانت التجارة الدولية ، وأن الأعمال المصرفية التي قاموا بها كانت أعمالاً مصرفية متقدمة .

كذلك اشتهر اليهود فى إسبانيا بممارستهم للطب وكانوا منتشرين فى البلاط الملكي ، وكان المسيحيون - بدءًا من الملك وحتى الطبقة الدنيا - يلجأون إلى هؤلاء الأطباء اليهود لعلاجهم ، على الرغم من أن القوانين فى ذلك الوقت كانت تمنع المسيحيين من استخدام اليهود كأطباء لهم ، إلا أن المشرّعين للقوانين أنفسهم وعامة الشعب لم يتمكنوا من الاستغناء عن خدمات الأطباء اليهود [٣] حيث اعتاد الملوك الأسبان أن يكون لديهم أطباء يهود يطلق عليه الطبيب الخاص ومنهم " حاييم اللاوي " طبيب بدرو أسقف طليطلة ١٣٨٩ ، "وسالمون بيتون " طبيب الملكة إيزابيلا ١٤٧٦ ، " وساماي لوبيل " طبيب إنريكي الرابع ١٤٥٦ ـ ١٤٦٥، وكان يوجد في أرغن ٧٧ طبيبًا يهوديًا في القرن الرابع عشر و٥٥ طبيبًا في قشتالة .

(1) المسيرى ، اليد الخفية ، مرجع سابق ، ص١١٦ .

(2) المسيرى ، مرجع سابق ، ص١١٧ .

(3) كاسترو أميركو ، مرجع سابق ، ص٥٦٧ ، ٥٦٨ .

واشتهرت عائلة البارودي كاسترو بمزاولة الطب في القرنين الخامس عشر والسادس وكان موسى ابن ميمون أشهر أطباء القرون الوسطى وكان طبيب صلاح الدين الأيوبى [1].

ولم تستطع القوانين المسيحية أن تمنع اليهود من مزاولة مهنة الطب حيث ظلت تمارسه لقرون عديدة ـ على كافة المستويات الملكية والشعبية المسيحية .

القوة الاجتماعية لليهود فى إسبانيا :

على الرغم من الرفض الشعبى المسيحى للطوائف اليهودية ، إلا أن اليهود مثلوا قوة لا يستهان بها داخل المجتمع الإسبانى ، حتى قيل إنهم كانوا يمثلون دولةً داخل دولة . وقد نبعت تلك القوة من تصرفات الملوك والحكام ورجال البلاط الذين منحوهم حرية ممارسة الأعمال الحرفية واليدوية التى كانوا يتقنونها ، كما منحوهم المناصب والوظائف الإدارية بالدولة ، فكان منهم صناع الأحذية ، والحدادون ، والنجارون ، والخياطون ، وتجار الذهب ، وتجار العملات، إلى جانب الأطباء والمعالجين الذين كانت لهم أهمية خاصة فى المجتمع ، ومن هنا جاء تغلغل اليهود إلى داخل البنية الاجتماعية للدولة [2] .

وفى القرن الرابع عشر كان اليهود يشغلون مناصب مهمة فى القضاء ، وكانت لهم محاكمهم المستقلة ، بالرغم من معارضة الشعب لها وكان الملوك يلقبون بعض اليهود بـ "السيد" وهي أعلى الدرجات الاجتماعية بين النبلاء [3] .

ونستطيع أن نتحقق من مدى ثقل اليهود فى المجتمع الإسبانى المسيحى وتغلغهم فيه من خلال الممارسات اليهودية التى حدثت فى المجتمع الإسبانى طيلة أربعة قرون ومن بينها :

- كان اليهود يرتدون ملابس مماثلة للمسيحيين .
- وكانوا يضاجعون النساء المسيحيات ، ويرتادون حفلاتهم .
- وكانوا يتدخلون فى مراسم عقود الزواج المسيحية .

---

(1) كاسترو أميركو ، مرجع سابق ، ص٥٦٥ ، ٥٦٦ .

(2) المرجع نفسه ، ص٥٨٥ .

(3) نفسه ، ص٥٩٤ .

• فى ممارسات الجنازات المسيحية ، كان اليهود يكلفون بممارسة النواح فيها ويمنحون مقابلها خمسة عشر مرابطيًّا (عملة أسبانية) .

• تدخل اليهود فى أمور التعميد المسيحى ، فكان منهم من يتولى دور الأب الاسمى فى التعميد المسيحى .

• كان الملوك والنبلاء الاسبان يعهدون إلى اليهود بمهمة تربية أبنائهم تربية علمية وأدبية[١] .

وكان انتشار وجود بابا يهودى من المسائل البارزة فى إسبانيا فترة العصور الوسطى.

ومن أبرز الأسر التي كان هدفها استلام أحد أفرادها منصب البابا المسؤول عن جميع كنائس العالم المسيحي أسرة بيرلوني فى روما وهم الذين اختاروا التحدث باللغة اللاتينية من قبيل إثبات النية الصادقة في التحول للمسيحية [٢] . وكان كل من البابا غريغوري السادس والسابع عملاقين في تاريخ الكنسية الكاثوليكية في العصور الوسطي ، وكانا فردين من أسرة يهودية تحولت إلي المسيحية من أسرة بيرليوني[٣] .

ويطلق بعض المؤرخين علي عائلة بيرليونى "عائلة روتشيلد القرون الوسطي" ؛ وذلك لثرائها وأهميتها التى فاقت مرتبة النبلاء بما يمتلكون من مال ، إلي جانب إشرافهم علي ضرب النقود وعمليات التعدين في مناجم الذهب والفضة ، لذا كان الملوك وكبار رجال الدولة يلجأون إلي التعامل مع العائلات اليهودية الذين اشتهروا كممولين وضاربي نقود [٤].

ومن أهم الشخصيات اليهودية التي اتخذت منصب البابوية هم إيونوس جراتيانوسي (غريغورى السادس ١٠٤٥ ــ ١٠٤٦) وهيلد براند (غريغورى السابع ١٠٧٦ ــ ١٠٨٥) وبطرس بيرليوني (أناسولت الثاني ١١٣٠ ــ ١١٣٨) وقد أسهم ثلاثتهم في نمو الكنيسة ، وثلاثتهم ينتسبون إلي أسرة بيرلوني اليهودي [٥] .

---

(1) كاسترو ، مرجع سابق ، ص٦٣٨ .

(2) برنز يواكيم ، مرجع سابق ، ص٥٢ .

(3) المرجع نفسه ، ص١٩ .

(4) نفسه ، ص٣٦ .

(5) برنز يواكيم ، مرجع سابق ، ص٦١ .

كما خدم اليهود كمستشارين ماليين لكثير من البابوات [1] واشتهرت مهنة الطب وانتشرت انتشارا كبيرا فى المجتمع الاسبانى فكان منهم أطباء شخصيين للملوك وخازنوا مكتباقم، وعلماء يسدون النصح ويبدون الآراء في كثير من الأمور [2] .

وقد لاقى هذا التسامح الملكى تجاه اليهود احتجاج الأوساط الشعبية المسيحية تجاه ذلك الاستتراف اليهودى ، سواء على الجانب المالى أو السيادى المتحكم فى المناصب على حساب الشعب .

ونتيجة لذلك صدرت عدة قوانين ضدهم ، لكنها لم تدخل إلى حيز التنفيذ ، فقد صدر قانون يمنع تلقى أية أدوية يقوم اليهود بصناعتها ، غير أن اليهود ظلوا يصنعونها ، وقانون آخر يحرم عمل اليهود خدماً أو خادمات أو رعاة أو بستانيين للمسيحيين ، وقد ظل اليهود يعملون خدماً ورؤساء خدم فى البلاط الملكى.

كما حرم القانون المسيحي عليهم ارتياد الحفلات أو التدخل فى عقود الزواج المسيحية أوالجنازات الخاصة بهم ، وكذلك اعتلاء مكانة الآباء الاسميين أو الأمهات للمسيحيين فى التعميد ، كما لم يسمح لهم بممارسة مهن جمع الضرائب أو الاستئجار أو جمع الأموال الملكية أو الخاصة بالسادة ، أو أن يكونوا من متداولى الأموال ، أو يكون لهم قضاء خاص بهم ، سواء فى المحاكم المدنية أو التى تبت فى الجرائم، كما حرموا عليهم زيارة المرضى من المسيحيين ، وكذلك منع تدوال أية أدوية أو أى نوع من الشراب اليهودى ، وكذلك منع الاستحمام فى نفس حمامات المسيحيين العامة ، ومنع إرسال هدايا للمسيحيين من الحلوى أو التوابل أو الخبز المطبوخ أو الطيور المذبوحة ، كما لم يسمح لليهودى بإطلاق لقب السيد على نفسه سواء كتابة أو كلاماً ، وكذلك منعوا من ممارسة مهنة البيطرة ، ولا مهن الحدادة أو صناعة الأحذية ، أو الخياطة والجزارة والنسيج .. ومنعوا كذلك من جلب البضائع بما فيها الزيت والعسل والأرز ..[3] . وعلى الرغم من صدور تلك القوانين ، إلا أنها لم تكن فاعلة وظل اليهود يمارسون حياهم فى المجتمع الإسبانى بجرأة فائقة وبشكل طبيعى .

---

(1) المرجع نفسه ، ص٦٣ .

(2) نفسه ، ص٦٣ ، ٦٤ .

(3) كاسترو : أميركو ، مرجع سابق ، ٥٨٦ ، ٥٨٧ .

وكانت العلاقات الجنسية شائعة لدرجة أن علماء اليهود فى القرن الخامس عشر فسروا سبب طرد اليهود من إسبانيا عام (١٤٩٢م) بقولهم : "إن اليهود الاسبان أخذوا النساء من الأمم إلى بيوتهم وتسببوا فى حملهنّ ، وهكذا أصبح أطفالهم من الأمم ، ثم أصبحوا فيما بعد قتلة مجرمين اشتركوا في قتل آبائهم"[١].

ونذكر هنا قصة إمرأة يهودية من بلدة "كوكا" كانت على علاقة حب بمسيحى وذلك فى عام ١٣١٩م ، حيث حملت تلك المرأة من المسيحى وتنازلت له عن بعض أملاكها فقام المسيحيون بعرض الأمر على السيد "خوان مانويل" فأشار بصلاحية المحكمة اليهودية للبت فى هذا الأمر ، وبعد أن وضعت المرآة توأمين مات أحدهما ، وقام المسيحيون بتعميد الآخر ، ولم يشغل الحاخام باله بالاثم الذى ارتكبته المرأة وإنما الفضيحة التى تعرض لها اليهود فقال للحاخام أشر الطليطى :

" ما الذى نفعله حتى نظهر أما أعين الناس ونحن نطبق قوانين التوراة ... ؟ وتتحدث كافة القرى المحيطة بكوكا عن المسألة وأخذت الألسنة تلوك حكاية المرأة ، وبالتالى الطعن والتقليل من شأن ديننا ... "

فأقترح الحاخام الحكم عليها – بجدع أنفها حتى يزول عنها الجمال الذى يشد حبيبها إليها .

ونلاحظ مما ورد شعور الحاخام بالقلق إزاء انتشار الفضيحة فكان هذا كل همه وليس الإثم الذى ارتكبته الجميلة اليهودية [٢] .

كما نلاحظ ان الحاخام اليهودى الذى أصدر حكمه لم يعر اهتمامًا بالجزاء المنصوص عليه فى التوراة فى هذه الحالة وهو الرجم وهو ما نصت عليه التوراة فى سفر التثنية [٣] .

---

(1) برنز : يواكيم ، مرجع سابق ، ص٤٥ .

(2) كاسترو أميركو ، مرجع سابق ، ص٥٩٧ .

(3) النص المذكور فى التوراة هو : "اذا وجد رجل مضطجعا مع أمراة زوجة بعل يقتل الاثنان الرجل المضطجع مع المرأة والمرأة فتنزع الشر من إسرائيل" "إذا كانت فتاة عذراء مخطوبة لرجل فوجدها رجل في المدينة واضطجع معها فأخرجوهما كليهما إلى باب تلك المدينة وارجموهما بالحجارة حتى يموتا ، الفتاة من أجل أنها لم تصرخ في المدينة ، والرجل من أجل أنه اذل امرأة صاحبه فتنزع الشر من وسطك" ، سفر التثنية ٢٢ / ٢٣ – ٢٤ .

وعلى جانب آخر كان محرمًا على المرأة المسيحية طبقًا للقانون المسيحى دخول الأماكن التى يعيش فيها اليهود ليلاً أو نهارًا ، ويتم إدانتها إذا ضاجعت يهوديًا ؛ فتعاقب بفقدان نصف أملاكها فى المرة الأولى ، وفى الثانية تفقد كل مالها وتسلمه لوالديها ، وإذا عادت مرة أخرى فإنه يحكم عليها بالإعدام ، أما إذا كانت متزوجة فللزوج أن يعاقبها كما يشاء ، إما بقتلها ، أو إطلاق سراحها . وعلى الرغم من صدور الأحكام والقوانين ضد اليهود الذين يضاجعون نساءً مسيحيات، إلا أن اليهود ظلوا يضاجعون المسيحيات فى عدد من البلدان مثل نيبلا وأشبيلية ، مما يدل على أن القرارات الصادرة ضدهم لم تكن نافذة [1] .

ويلاحظ أن ردود الفعل – تجاه التنصر اليهودى – بين الحكام من جانب ، والكنيسة والشعب من جانب آخر ، كانت متعارضة حيث غلب على الحكام التخلى عن الصرامة فى تنفيذ القرارات المضادة للمارانوس ، بينما ظهر تمسك كبير بالعداء لهؤلاء المتنصرين من الشعب والكنيسة .

---

(1) كاسترو ، أميركو ، مرجع سابق ، ص٦٥٥ .

المبحث الثاني
ردود الأفعال الرسمية والشعبية
تجاه المتنصرين اليهود

ظن اليهود أن المسيحيين سوف يتقبلون تنصرهم واعتناقهم دينهم بالترحاب ، لكن الأمر لم يكن كذلك ، فإن تغيير العقيدة إلى عقيدة السلطة الرسمية فى ذلك الوقت (المسيحية) ، كان يسمح بدخول عناصر المتنصرين للحكم . ولأجل هذا فقد رأى المسيحيون الأصليون أن المتنصرين منافسون لهم في المناصب السلطوية ؛ لذلك عمل الشعب المسيحي على عزل المتنصرين اليهود والهبوط بكرامتهم ، ومنع الامتيازات التي ترفعهم عليهم ؛ حيث أطلقوا عليهم ، المارانوس اليهود أو الخنازير [١] .

وانقسم التنصر اليهودى إلى نوعين : تنصر جاء طواعية بسبب تدهور الحالة الروحية لدى أعضاء الجماعات اليهودية ، نتيجة لظهور وانتشار الثقافة العقلانية الممثلة فى فلسفة "ابن رشد" ، واندماج الجماعة اليهودية فيها ، والتى كان لها تأثيرها على إيمان النخبة الدينية اليهودية التى افتقدت هويتها ، إضافة إلى ارتباط المصالح اليهودية بالغالبية المسيحية ، والرغبة فى اعتلاء مناصب سياسية أو دنيوية ؛ لذا كان تنصر هؤلاء تنصراً فعليًا ، حفاظًا على مصالحهم [٢] .

والنوع الآخر : تنصر اضطراري من أجل البقاء ، مع إبطان اليهودية ، فأصبحوا متنصرين فى الظاهر ، يهودًا فى الباطن ، قسم منهم عاش فى إسبانيا ، والقسم الآخر قرر اللجوء إلى البرتغال التى منحتهم حق اللجوء المؤقت نظير ضريبة يقدمونها [٣] .

ومن هنا ظهرت يهودية ذات أنساق كاثوليكية ، مثلت نوعًا من الازدواجية لدى المسيحى الذي وقف بين خيارين ، الأول يتعلق بمدي قبوله لليهودى قاتل المسيح من ناحية؛

---

(1) סיכום (היהודים בספרד בין איסלם לנצרות) עימות בין מוסלמים לנוצרים .
.٢٠٠٧-٣-٢٨ . www.tzafonet.org.il

(2) JewishEncyclopedia .marano

(3) المرجع نفسه .

والآخر يتعلق بالوجود اليهودي المشروع ؛ لأن الكنيس اليهودى هو بيـــت الله طبقـــًا للتشريع من ناحية أخرى.

وفى الوقت نفسه ظهرت الازدواجية لدى اليهودى المتنصر الذى تحـتم عليـه إبـراز المسيحية وإخفاء يهوديته .

وكان المسيحى الإسبانى يعتقد أنه من سلالة أعلى وعقيدة أفضل من اليهودى ، إلا أن حاجته لليهودى فى العمل اليدوى والتجارى والصناعى والعلمـى ، إلى جانـب حاجتـه للمزارعين والبائعين والحمالين – تلك المهن التى يتقنها اليهودى – هو ما جعله يتقبله نظرًا لافتقاره لها ؛ ولذلك حاول استكمالها لملء هذا الفراغ [١] ومن ناحية أخرى فإنه كان ينظر إلى هذه الأعمال نظرة ازدراء ، باعتبارها أعمالاً غير إنسانية تبعد بالإنـسان عـن القـيم الجوهرية لروحه ؛ إذ إن غاية المسيحى أن يكون شريفًا أو رجل دين [٢] .

المـمارسات اليهودية المناهضة للمسيحية :

من الأمور التى تدعو للدهشة ، أنه على الرغم من الصراع الدائر – بين الملـوك مـن جانب ، والكنيسة والشعب من جانب آخر – حول الممارسات اليهودية فى الدولـة إلا أن رجال الدين المسيحى كانوا أنفسهم يطلبون من اليهود تحصيل الأعشار للكنيسة [٣] . وقد وصلت حاجة الملوك الكاثوليك الأسبان لليهود إلى الدرجة التى جعلتهم يتـسامحون مـع اليهود الذين كانوا يطعنون فى الديانة المسيحية ، ففى عام ١٣٠٥م قـام ثـرى يهـودى بالاستهزاء بالمسيح عيسى معلنـًا أن المسيحيين يقدسون "رجلاً " يعتقدون أنه "ابـن الله" وهو ، "ابن سِفَاح" ، فصدر الحكم بسجنه ، ثم أطلق سراحه !!

وفى عام ١٣١٨ اتُهم عدد من اليهود بسبهم الذات الإلهية، واتهام السيدة مريم العذراء فى عذريتها ، ودعوتها بالخاطئة [٤] وكذلك سبهم القديسين المسيحيين ، إلا أن الملوك تغاضوا عن الأحكام التى صدرت ضدهم [٥] !!

---

(1) كاسترو ، مرجع سابق ، ص٦٧٤ .

(2) المرجع نفسه ، ص٦٨٢ .

(3) نفسه ، ص٥٨٠ .

(4) برنز : يواكيم ، مرجع سابق ، ص٤٧ .

(5) المرجع نفسه ، ص٥٩٠ .

وعلى الرغم من قيام اليهود بارتكاب الانتهاكات الدينية ضد الشخصيات المسيحية المقدسة وقيامهم بغواية النساء ، والسرقة والقتل ، فإن ملوك إسبانيا ونبلاءها فى القرن الخامس عشر وجدوا فى اليهود الذين اعتنقوا المسيحية ، "الطبقة المميزة والضرورية لرفاهية البلاد" ، وأنهم "لا يشكلون خطرًا على عقائدهم" ، ومن هنا يثبت مدى التباين الظاهر بين السياسة الملكية ومصلحتها التى كانت فى المقام الأول وبين الشعب والكنيسة على جانب آخر .

وفى القرن الخامس عشر ظهر شكل جديد من القلاقل التى حدثت فى الدولة على المستوى الدينى ، ألا وهو اختلاط كثير من العائلات المسيحية بأفراد من أصول يهودية ، فظهر ما يعرف بمشكلة نقاء الدم أو "طهارة الدم" (טהירת הדם) (1) ، حيث كان كثير من اليهود المتنصرين حتى القرن الخامس عشر لهم أنساب تابعة للعائلة المالكة المسيحية ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، سواء كانوا ملوكًا أو نبلاءًا ، فكانت لهم زيجات يهوديات ، وكان الملك فرناندو الكاثوليكى ترجع أصوله – من جهة أمه – إلى اليهودية (٢) . وقد أصبح الانتساب للسلالات الرفيعة أمراً مشتركًا بين اليهود والمسحيين ، الأمر الذى أدى باليهود ذوى الأصول الإسبانية الشعور بالتفوق وفى هذا الشأن يقول ماكس جرونباوم :

"إن من يحضر الصلاة فى الكنيس اليهودى البرتغالى فى أمستردام يلاحظ على الفور الفارق بين اليهود الإسبان واليهود الألمان ، فالجو المهيب والهادئ أثناء الصلاة يجعلها مختلفة عن البيع الألمانية الهولندية ، كما نجد العظمة الإسبانية فى الكتب الإسبانية اليهودية المطبوعة فى أمستردام ، ولازال العبريون من ذوى الأصول الإسبانية يحتفظون حتى اليوم بمشاعر التفوق ، وهذا ما لا يفهم إلاّ إذا أسندناه إلى الجو الذى سار قبل عام ١٤٩٢م ، أى الاعتقاد فى تسيد الفرد ، وهذا هو جوهر الروح القشتالية ، ويواصل اليهودى مشواره فى الحياة وهو يرتبط حيويًا بمناهضيه منذ ما يقرب من ٤٥٠ عامًا "

---

(1) صدر فى إسبانيا عام ١٥٦٦م قرار خاص بنقاء الدم الذى جعل من الأصول العرقية (لا الإيمان الدينى) معيارًا للتمييز ، فبعد أن كان التنقيب يتم عمن يمارسون الطقوس اليهودية خفية، أصبح التنقيب عن ذوى الأصول غير النقية .

jewish encyclopedia

(2) كاسترو : أميركو ، مرجع سابق ، ص٥٩٩ .

وقد وصلت مسألة اختلاط الدماء بين اليهود والمسيحيين إلى حد المحاكم ، حيث عارضته بعض الطوائف المسيحية ، وخاصة ما يتعلق بالخدم والعبيد ، ومع هذا فإن الأحكام والفتاوى لم تستطع أن توقف العلاقات بين الرجال والنساء اليهود والمسيحيين[1] .

ويجدر بنا هنا ان نورد أقدم الوثائق التى تتحدث عن الطهارة العرقية لدي اليهود والتى جاء فيها :

" ليعرف كل من يرى هذه الرسالة التى تحمل توقيعى أن هنا بعض الشهود الذين مثلوا أمام الحاخام إسحاق رئيس الدائرة ، وأبلغوه بأمانة وإخلاص عن أناس كبار فى السن ومن أسر محترمة ، ويرى الشهود أن أسرة الأخوين داود وعزرائيل هى أسرة نقية السلالة وليس عليها أية نقيصة، فداود وعزرائيل هما من الجديرين بالزواج بأشرف عائلات إسرائيل فلم يحدث أن سجل لهم أى اختلاط فى الدماء سواء من فرع الأب أو الأم أو الأفرع الأخرى .

توقيع : يعقوب عيساشا"

والسبب فى هذا النص المتعلق بطهارة الدماء هو ما ردده أحد الناس من أن أحد أصول هذين الشابين الأرستقراطيين كان من العبيد ، ولم يرض المتهمون بالقرار الصادر عن المحكمة المحلية فذهبوا إلى حاخامات أعلى ، ثم رفعت كل الأحكام والفتاوى إلى شلومو بن أدريت البرشلونى الذى أصدر حكمه التالى :

"عندما تلقيت رسالتكم وقرأتها أصبت بالذهول فالذى صدرت عنه هذه المسبة ، أيا كان وأيا كانت دوافعه ، قد ارتكب إثمًا عظيمًا ويستحق عقوبة أكبر من إراقة دمه ، فالقاتل السفاح لا يقتل إلا فردين أو ثلاثة أما هذا الآثم فقد سب ثلاثين أو اربعين فردًا ، فصوت الدم الأسرى ينادى ويئن وهو تحت الأرض، وكان على المحكمة الحاخامية أن تطرد الآثم من العقيدة كما أنى سأؤكد حكمها بتوقيعى " .

وهذا النص هو أقدم نص يتحدث عن الطهارة العرقية فى إسبانيا حيث يتضمن شهادة شهود وحاخامات يهود حضروا من أماكن مختلفة[2] .

---

(1) كاسترو : أميركو ، مرجع سابق ، ص٥٩٦ .

(2) المرجع نفسه ، ص٥٩٥ ، ٥٩٦ .

المبحث الثالث

محاكم التفتيش والتحول القسرى إلى المسيحية

سبق أن أوضحنا موقف الحكام والملوك الكاثوليك المتسامح تجاه اليهود الأسبان بغرض الاستفادة منهم فى الأعمال المهنية والتجارية والمصرفية التى اضطلعوا بها ، وقد سار على هذا النهج، الملك "فرديناند الخامس" الكاثوليكى ملك "أرجون" الذى أحاط نفسه باليهود المتنصرين ، حيث مكنهم من شغل مناصب حساسة فى بلاطه ، فكان عدد منهم أعضاء فى المجلس الملكى ، وكان سكرتيره وقائد أسطوله البحرى ، من هؤلاء اليهود المتنصرين ، ومن جانب آخر، كانت زوجته "إيزابيلا" [١] محاطة بكثير من هؤلاء المارانوس اليهود ، حيث كان سكرتيرها ومستشاروها منهم ، كما كان القس الذى تعترف أمامه من أصل يهودى[٢].

وقد استعان كل من فرناند وايزابيلا بالمارانوس اليهود فى تمويل حروب الملكية الكاثوليكية ضد المسلمين ، حتى نجحوا فى طرد المسلمين من إسبانيا عام ١٤٩٢م [٣] .

وكان كلما يحدث احتلال مسيحي لجزء من إسبانيا يبدأ الحكام المسيحيون في التفكير في تطهير إسبانيا من الأديان الأخرى ، وقد قويت هذه الفكرة عندما اتحدت مملكتا أرجون وقشتالة بزواج "فرديناند" ملك أرجون ، وإيزابيلا بنت ملك قشتالة في عام ١٤٦٩م ، حيث حرموا على اليهود والمسلمين السكن في حي واحد مع المسيحيين مدعين أن كلاً من المسيحيين والمسلمين يؤثرون بشكل سلبي على المسيحيين الأصليين [٤] .

وقد استمرت عمليات الفصل بين المسيحيين من جهة ، والمسلمين واليهود من جهة أخرى مدة عامين ؛ نظرًا لأن السكان اليهود والمسلمين ، وجدوا صعوبة في الانتقال إلى أحياء جديدة وترك بيوقم ومنازلهم الأصلية [٥] وقد حاول الملكان دمج اليهود المتنصرين

---

(1) كانت الملكة إيزابيلا كاثوليكية فى كل شىء ، وكانت تجل البابا وتنصت له باهتمام وخشوع .

(2) jewish encyclopedia

(3) סיכום (היהודים בספרד בין איסלם לנצרות) .

(4) المرجع السابق .

(5) סיכום (היהודים בספרד בין איסלם לנצרות)

الذين كان يشتبه فى حقيقة تنصرهم ، إلاّ أنه بعد طرد المسلمين قررت إيزابيلا إنشاء محاكم التفتيش "אינקווידיציה" [١] والتخلص من اليهود أيضًا .

موقف الملك (فرديناند) والملكة (إيزابيلا) مع يهود إسبانيا :

كان الملك (فرديناند) وزوجته الملكة (إيزابيلا) اللذان حكما إسبانيا عام (١٤٩٢م=٨٩٨هـ) كاثوليكيين شديدى التعصب للمسيحية ، وكانا يبغضان اليهود بسبب معاداتهم لعيسى (عليه السلام) حيث اعتبروه مرتدًا عابدًا للأوثان ، طبقًا لما ورد عنه فى التلمود "أن يسوع الناصرى موجود فى لجات الجحيم بين القار والنار .. أتت به أمه من العسكرى (باندارا) عن طريق الخطيئة .

والعهد مع المسيحى لا يكون عهدًا صحيحًا يلتزم اليهود القيام به . ومن الواجب أن يلعن اليهود ثلاث مرات رؤساء المذهب النصرانى وجميع الملوك الذين يتظاهرون بالعداوة لبنى إسرائيل كما أن قتل المسيحى كان من التعاليم المأمور بها فى اليهودية .

ولهذا أراد الملك فرديناند وزوجته وضع نهاية لهؤلاء اليهود وأعمالهم التخريبية ضد المسيحية المتخفية تحت ستار العلم والفلسفة ، فطالبهم الملك بضرورة دخولهم فى المسيحية .

وفى (٣٠ مارس سنة ١٤٩٢م=٨٩٨هـ) وقع (فرديناند) و (إيزابيلا) مرسومًا ملكيًّا يقضى بنفى اليهود ، وينص على أن جميع اليهود الموجودين فى البلاد غير المعمدين – أيًّا كانت أعمارهم أو أحوالهم – عليهم أن يتركوا إسبانيا فى موعد أقصاه(٣١ يوليو ١٤٩٢م=٨٩٨هـ) ولا يسمحُ لهم بالعودة، ومن يخالف ذلك تكون عقوبته الإعدام ، وعليهم أن يتخلصوا من أمتعتهم خلال هذه المدة ، ولهم أن يأخذوا معهم الأمتعة المنقولة وصكوك المعاملات دون النقد من ذهب وفضة .

وقد حاولت بعض الشخصيات اليهودية الكبيرة دفع مبلغ كبير من المال لفرديناند وإيزابيلا فى سبيل سحب مرسومهما إلا أنهما رفضا طلبهم .

ولم يستطع كبار الشخصيات اليهودية أن يثنوا الملك والملكة عن قرارهما ، وإلغاء مرسوم طرد اليهود من إسبانيا [٢].

---

(1) المسيرى : موسوعة اليهود واليهودية ، مجلد ٤ / جزء ٣ / باب ٣ .

(2) النعيمى : أحمد نورى، اليهود والدولة العثمانية، مؤسسة الرسالة، بيروت ، دار البشير ، الأردن ، ١٩٩٧م ، ص١٤-٢٦.

فى هذه الفترة قام بعض اليهود بحرق منازلهم ، وذلك لأخذ قيمة التأمين عليها ، وتنازل البعض الآخر عنها للمجلس البلدى للدولة ، وقام المسيحيون بتحويل المعابد اليهودية إلى كنائس، ومدافن اليهود إلى مراعي .

وفى تلك الأثناء طالبت الملكة إيزابيلا بتكوين محكمة خاصة لمحاكمة اليهود الذين تنصروا، بينما كانوا يمارسون شعائرهم اليهودية سرًّا ، وثبت على أكثرهم تهمة خداع الكنيسة وممارسة المعتقدات الموسوية سرًّا ، وكان الغرض من إنشاء المحكمة القضاء على الهرطقة فى مهدها ، بحيث ينسى الجيل الثانى أو الثالث من اليهود المعمدين أصولهم باعتبارهم مسيحيين .

وصرح فرديناند أن اليهود عنفوا المتنصرين منهم ، وحاولوا أن يعيدوهم إلى يهوديتهم مرة أخرى، ونتيجة لذلك ذابت ثروات اليهود ، وتنصر خمسون ألف يهودى ، وترك إسبانيا أكثر من مئة ألف منهم فى موكب خروج طويل وكئيب [١].

ويصف شاهين مكاريوس أحوال اليهود فى تلك الفترة بقوله : "سار المنفيون على متون الخيل أو الحمير أو على الأقدام . وناشد المسيحيون اليهود المنفيين ، أن يذعنوا للتعميد ، فرد عليهم الربانيون بأن أكدوا أن الله سيهديهم إلى أرض الميعاد ، آملين أن يفتح الله لهم معبراً فى البحر مثلما فعل لآبائهم فى القديم مع موسى عليه السلام ، ولما انقشع عنهم هذا الوهم اضطروا لدفع أجور باهظة لنقلهم بالسفن إلى البلاد المهاجَر إليها ، وفرقت العواصف أسطولهم الذى كان يتألف من خمس وعشرين سفينة ، ومروا بكثير من المشاق ، حيث تحطمت سفينة تحمل خمسين يهوديًّا منهم بالقرب من صقلية ، وحكم عليهم بالسجن لمدة عامين ، ثم بيعوا رقيقًا وتعرض بعضهم للحرق وهم أحياء ، حتى قيل : إن ٢٨٠ منهم أحرقوا فى سنة واحدة فى إشبيلية [٢].

وتم طرد ٣٠٠٠٠٠ يهودى من إسبانيا ، فغادروا جميعهم إلى البلدان الإسلامية وشمال أوروبا، واتجهوا مهاجرين إلى البرتغال وإيطاليا والمغرب وفرنسا والدولة العثمانية .

---

(1) النعيمى : أحمد نورى ، اليهود والدولة العثمانية ، مرجع سابق ، ص١٤-٢٦ .

(2) شاهين مكاريوس ، أربع كتب فى الماسونية ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، مرجع سابق ، القاهرة ، ١٩٩٤م ، ص٣١ .

فى ذلك الوقت كانت البرتغال أكثر الأهداف ملائمة للمهاجرين اليهود فهـاجر إليهـا عدد كبير وصل إلى ثمانيين ألفا مما أفزع ملك البرتغال جون الثانى الذى منحهم مهلة ثمانيـة أشهر على أن يرحلوا بعدها ، كما أصدر أمرًا إلى جنوده بالقبض على أولادهم مـن سـن الرابعة عشرة، وإبقائهم فى بلاده حتى ينشؤوا فيها نشأة مسيحية ، فكانت النساء يطـرحن أولادهن فى الآبار والأنهار حتى لا يُنصروا .

ولما تفشى بين اليهود مرض الطاعون ، وانتشر بين المسيحيين ، قـام شـعب البرتغـال بالمطالبة بطرد اليهود من البلاد فورًا خوفًا من انتشار المرض فى كل أرجاء البرتغال ، وقـد يسر الملك لهم الخروج عن طريق السفن بأجور زهيدة ، ومات منهم كثيرون جوعًا .

وحينما انتهت مهلة الثمانية أشهر قام الملك "جون" ببيع باقى اليهـود المهـاجرين إلى البرتغال بيع الرقيق ، وانتزع الأطفال دون الخامسة عشرة من آبائهم ، وأرسلهم إلى جـزر القديس توماس لينشأوا النشأة المسيحية التى يريدها .

وسار الملك "إمانويل" فى البرتغال على نهج سلفه ، حيث أمر جميع اليهـود الموجـودين بمملكته أن يتنصروا ، أو يخرجوا من البلاد فورًا وكان ذلك إذعانًا لطلب الملـك فرنانـدو وإيزابيلا ، وذلك عام (١٤٩٦م=٩٠٢هـ) كما قاموا بإجراءات قاسية لتنصيرهم ، ممـا أدى إلى وصف أحد الأساقفة لمشاهداته لبعض هذه الإجراءات بقوله :

"لقد رأيت أطفالاً كثيرين يُسحبون إلى حوض التعميد من شعورهم" .

وانتشرت المذابح بين اليهود عام (١٥٠٦م=٩١٢هـ) وقتل فيها ألف يهودى ، ودفن مئات منهم أحياء ، وفقدت إسبانيا بعض المزايا بخروج التجار وأصحاب المهن والدارسـين والأطباء والعلماء من اليهود والمسلمين .

وبناء على رغبة إيزابيلا [١] قام بابا الكاثوليك بتأسيس محاكم التفتيش فى إسـبانيا عـام ١٤٧١م، كجزء من الجهود الرامية إلى تقوية المسيحية وتوحيد مواطنيها ، وكانـت هـذه

---

(1) اعتبر الأندلسيون حكام محاكم التحقيق "حلفاء الشيطان" ، ولهذا رأوا فى محكمـة التحقيـق مكانـا يحكمـه "الشيطان الذى اتخذ من الخديعة والتضليل مستشارين له" ولهذا قال أحد الأندلسيين لعمـال محـاكم التحقيـق "جلالة الملكة الكاثوليكية إيزابيلا ليست موجودة فى الجنة كما يقول المسيحيون بل فى الدرك الأسفل من جهنم، لأنها أسست هذه "المظلمة" ، ومعها "اليهود الذين يجب ألا يخرجوا منها بل أن يبقوا تحت رحى الطاحونة الـتى تطحن رؤوسهم" .

المحاكم عبارة عن دار قضاء للتفتيش ، مهمتها البحث عن حقيقة إيمان العناصر اليهودية التي تنصرت حديثًا وتعقبهم[١] .

محاكم التفتيش فى إسبانيا :

سبق أن ذكرنا آنفـًا أن محاكم التفتيش تأسست فى إسبانيا عام ١٤٧١ بأمر من بابا الكاثوليك بناء على رغبة الملكة إيزابيلا لتطهير البلاد من العناصر غير المسيحية .

وكانت هذه المحاكم هى المكان الذي يقاضى فيه الأشخاص الذين اعترضوا على المسيحية بمصادرة ممتلكاتهم .

وترجع أسباب تأسيس هذه المحاكم إلى أمور ظاهرية أعلنتها الكنيسة ، بينما كانت لها أهداف أساسية أخرى خفية .

أما الأسباب الظاهرية فكما ذكرها مؤسسو تلك المحاكم فهي :

- التأكد من حقيقة تنصر العناصر المسلمة واليهودية الذين اعتنقوا المسيحية والتحقق من صدق ولائهم للدولة .
- تعقب السحرة والبحث عن الهرطقات الدينية بين المسيحيين نتيجة لانتشار الفلسفة اليونانية.
- حماية اليهود والمسلمين المتنصرين من تأثيرات إخوانهم السابقين فى الدين [٢] .

والقول بأن محاكم التفتيش أنشئت لأجل حماية نقاء العقيدة المسيحية ، أمر غير حقيقي ؛ وذلك لأنه لم يحدث أن حاول أحد من اليهود حتى القرن الخامس عشر أن يقضى على معالم الدين المسيحي القائم بل العكس ، فقد كان اليهود يتقربون إلى الحكام ورجال البلاط بهدف الحصول على الامتيازات المختلفة حتى أن كثير منهم تنصر ، وكان منهم أعداء لإخوانهم فى الدين ، وكان اعتماد الأحكام فى محاكم التفتيش قائمًا على الوشاية ، وكانت أحكامها غاية فى البشاعة ، فقد شهد عام ١٣٩١م هجوم الكاثوليك على المتنصرين فى منازلهم فكانوا ينهبونهم ويسلبونهم ، ويأخذون كتبهم وأدواتهم، ويجمعونها فى ميدان عام ويشعلون فيها النار، وأحياناً كان يؤتى باليهود مكبلين بالقيود ويلقون فى النار [٣] .

---

(1) האינציקלופדייה היהודית "דעת" . ערך אינקוויזיציה، אוטו דה פה

(2) كان اليهود المتنصرون يسمون المارانوس والمسلمون المتنصرون يسمون الموريسكين أو المور.

(3) ظاظا : حسن: مرجع سابق ، ص٢٥٧.

أما السبب الحقيقي والخفى وراء إنشاء هذه المحاكم التفتيشية فى إسبانيا والبرتغال فكان الحصول على الأموال [1] كما صرح بذلك الكاردينال " لوريترو بوسي" بقوله :

" عندما طلب القيصر "يوهان" من البابا "كليمنت السابع" تأسيس تلك المحاكم عام ١٥٢٨ م لم يكن سبب إقامتها الخوف والتقوى ومحبة الدين ، وإنما الرغبة في الحصول على أموال المتنصرين والاستيلاء على ثرواقم " [2] . وهو السر في اقتصار المسيحيين على اقمام الأغنياء اليهود المتنصرين.

وبناء عليه فقد صدر مرسوم ٣١ مارس عام ١٤٩٢ والذى يقضى بتخيير الجماعة اليهودية بين النفى أو التعميد [3] . وكان أول رئيس لمحاكم التفتيش توماس دي توركيمادا وهو مسيحي من أصل يهودي [4] . وكان الرهبان المتهودون هم الذين يمسكون بزمام محاكم التفتيش [5]

وكان مفتشو تلك المحاكم يعاقبون كل متنصر يشتبه فيه أنه حاد عن طريق الصواب بسلوك أو نظم حياتية لا تتسق مع المسيحية ، ويعذبون المشتبه فيهم ويرهبوهم حتى لا يعودوا إلى عقيدقم اليهودية الأصلية [6] .

وقد تنوعت أسباب تلك الاضطهادات بين اجتماعية وسياسية ودينية واقتصادية :

فعلى المستوى الاجتماعي ، شعر الشعب الإسبانى بالكراهية تجاه اليهود الذين تولوا مناصب رفيعة مهمة – كما رفض الشعب المسيحي تقبل ظاهرة المتنصرين الجدد واقموهم بعدم الولاء للحكام المسيحيين والمسيحية الأصلية .

---

(1) كان مكان إقامة تلك المحاكم في منتصف المدينة ، حيث يتجمع أعداد غفيرة من البشر ، وكان ميعادها غالبًا يوم الأحد والأعياد وأيام التوقف عن العمل ، والهدف هو تجمهر أعداد كثيرة من المواطنين ليقوموا بإرهابهم وتذكيرهم بيوم الدينونة في السماء . **האינציקלופדיה היהודית "דעת" ערך אינקוויזיציה، אוטו דה פה .**

(2) **האינציקלופדיה היהודית "דעת" ערך אינקוויזיציה، אוטו דה פה .**

(3) **סיכום (היהודים בספרד בין איסלם לנצרות).**

(4) كاسترو أميركو ، مرجع سابق ، ص٥٩٩ .

(5) المرجع نفسه ، ص٦٠٣ .

(6) **סיכום (היהודים בספרד בין איסלם לנצרות).**

ومن الناحية السياسية لم يعد الحكام المسيحيون في حاجة بعد للعلوم التي أجادها بعض اليهود مثل الرياضيات واللغات وغيرها ؛ إذ إن هؤلاء الحكام كانوا يعتمدون علي اليهود في تربية أولادهم تربية علمية وثقافية .

أما الجانب الاقتصادي فأثناء الطرد حُرم على اليهود أخذ ممتلكاهم معهم ، مما أدى إلى إتاحة الفرصة للسلطات المسيحية والملوك لأخذ تلك الممتلكات ، ووضعها في الخزانة الملكية.

وتمثلت الأسباب الدينية لاضطهادهم فى الخوف الذي انتاب الملوك من تأثير اليهود السلبي على المسيحيين ، وخصوصًا المسيحيين الجدد للعودة لليهودية [(١)] .

أنواع المحاكم:

كان هناك أربعة أنواع من المحاكم :

محاكم تفتيش عامة ، ومحاكم تفتيش خاصة، و محاكم تفتيش صغيرة ، ومحاكم تفتيش أحادية .

وكانت الإجراءات التى تتبع على النحو التالى :

في البداية يسير الدومينيكان أو حاملو الراية ، ثم يأتى بعدهم التائبون ، وبعدهم يأتي حاملو الصليب للتفرقة بين النادمين على أخطائهم وبين المستمرين في عصياهم ، ثم يأتي حاملو صور المتهمين الذين هربوا وتوابيت المتهمين الذين ماتوا . ثم يأتي بعدهم الشرطة التابعة لمحاكم التفتيش والكهنة الكبار معهم ، ثم يأتي بعدهم واحد أو اثنين من المواطنين الذين قبلوا على أنفسهم أن يكونوا شهودًا على تنفيذ الوصايا ، ثم يأتي في النهاية رجال الجيش.

وقبل أن تبدأ مراسم تنفيذ الاحكام كانوا يقومون بعدة إجراءات للإعداد لها : حيث يتم تغطية المذبح بغطاء أسود ، ويتم وضع كرسيين على المنصة أحدهما للمفتش الرئيسي ، والآخر للملك ، ويوجد صليب كبير على المنصة ، فإذا كان الصليب موجهًا ناحية المتهم ؛ فهذا يعني أنه سيلقى شفقة من القائمين بمحاكمته ، أما إذا كان الصليب موجهًا خلفه ؛ فمعنى هذا أنه سيحكم عليه بالموت . . وكانت الهيئة القضائية تقوم بجعل المواطنين ــ الذين

---

(1) סיכום (היהודים בספרד בין איסלם לנצרות).

قبلوا على أنفسهم أن يكونوا شهودًا على تنفيذ الوصايا ــ بأن يقسموا ، وبعد القسم كانوا يلقون عظة لإلهاب مشاعر الجماهير، وكان الشرطي التابع للمحكمة يقرأ ما ارتكبه المتهم من خطايا ، وأحيانًا كانت تستمر القراءة لمدة يوم كامل ، وفي النهاية يتم إلقاء نص العقوبة الخاصة بالمتهم على الجماهير المستمعة والتى تقام فى ميدان عام فى يوم الأحد حتى يضمنوا جمهرة أكبر عدد من المشاهدين رغبة فى زيادة الإرهاب[1].

أنواع العقوبات :

١ ــ عقوبة بالجلد .

٢ ــ مصادرة الأموال والممتلكات .

٣ ــ السجن لمدة محددة أو للأبد .

٤ ــ الموت بالسيف أو بالخنق أو بالحرق .

أما أنواع الخطاة فتشكلوا من:

١ ــ الخاطئ الذي قاموا بتحذيره من العودة لليهودية ولم يتب .

٢ــ الخاطئ الذي تاب ثم عاد إلى عادته السيئة .

٣ ــ الخاطئ المستمر في خطئه .

٤ ــ الخاطئ الذي ينكر أنه أخطأ .

وبعد انتهاء الحكم كانوا يضربون المتهمين على صدورهم دلالة على انتهاء الحكم ، ويقوم أحد الشرطيين غير التابعين للمحاكم التفتيشية بتحمل المسئولية عن المتهم ويكون المتهم تحت حمايته وعندما يتم إعلان حكم بإعدام متهم ما ، كانوا يصرحون بالقول الآتي:"بما أنك عدت لخطيئتك فسنقوم بإبعادك خارج الكنيسة ، ونرسلك إلى قضاء الشعب ، ونرجو منهم أن يخففوا العقوبة بقدر ما تستطيع أيديهم التخفيف، وأن يمنعوا سفك الدماء" وكان الشرطي الخاص يرسل المتهم للسجن ويتحفظون عليه هناك حتى وقت تنفيذ الحكم .وقد وصلت المعلومات الأولى عن محاكم التفتيش التي جرت لليهود في عام ١٢٨٨م من خلال أقوال رابي يعقوب بر يهودا و مائير بن ألياف وشلومو سمحا في تراتيل الغفران الخاصة بهم .

---

(1) האינציקלופדיה היהודית "דעת" ערך אינקוויזיציה. صورة محاكم التفتيش فى آخر الدراسة .

محاكم التفتيش في البرتغال :

عاش المارانوس اليهود فى البرتغال فى حرية أكثر من تلك التى كـان عليـه المـارانوس الأسبان لأسباب سياسية ، فقد كان "مانويل الأول" يطمح فى تحويل بلاده إلى قوة تجاريـة عالمية ، وذلك عام ١٤٩٥م ، ومن ثم فقد سمح لليهود بالإقامة بالبرتغال ومـنحهم حريـة دينية، وحصانة من محاكم التفتيش لمدة عشرين عامًا (١) ، وكان اليهود يمثلون فى البرتغـال نسبة ١٠% من سكانها، وعاشوا فيها بشكل علني ؛ وكان يطلق عليهم "اليهود" أو "الأمة" أو "رجال الأعمال" ، وأصبحوا عن طريق اتصالاتهم التجارية والمالية يمثلون قـوة ضـغط داخل البرتغال ، فكان لهم سفير خاص فى روما، قام بتقديم رشاوى استطاع من خلالها تأخير محاكم التفتيش فى البرتغال(2) وقبل أن يقرر مانويل طرد اليهود البرتغاليين بناء علي رغبة كل من الطبقات الشعبية والملوك الكاثوليك اجتهد في إبطال هذا القرار عن طريق الأمر بعـدم البحث في سلوكيات اليهود طوال ٢١ عام ومعني هذا تركهم في ممارسة عقيدتهم بحرية (٣) .

ولم يبدأ نشاط محاكم التفتيش אינקוויזיציה الرسمى فى البرتغال إلا عـام ١٥٣١ فى عهد كليمنت السابع (٤) .

وفي منتصف القرن السادس عشر ، وبالتحديد عام ١٥٦٦ صدر قـانون نقـاء الـدم (טהירת הדם) على يد المشرع التركى سليمان القانوني ، وقد استخدمتها محاكم التفتيش بقسوة ضد اليهود المتنصرين فى البرتغال ، وشكل هذا القانون خطورة فى كشف الأصـول العرقية لليهود للقضاء عليها (٥) .

ممارسات محاكم التفتيش ضد المارانوس اليهود :

من الملاحظ أن الأحكام التى صدرت عن محاكم التفتيش ، لم تكن صادرة عن مسيحيين أصليين، بل من اليهود أنفسهم الذين تنصروا..الذين حاولوا إظهار إخلاصهم للمـسيحية

---

(1) האינציקלופדיה היהודית "דעת" ערך אינקוויזיציה.

(2) المسيرى : عبدالوهاب ، اليد الخفية ، دار الشروق ، ١٩٩٨م ، ص٨٣ .

(3) كاسترو أميركو ، مرجع سابق ، ص٦٣٤ .

(4) האינציקלופדיה היהודית "דעת".ערך אינקוויזיציה

(5) المرجع السابق ، דון יוסף נשיא בונה טבריה

وغيرهم عليها ، كما كانت نتاجاً لتصفية حسابات قديمة بين هـؤلاء المتنـصرين اليهـود وذويهم [١] .

وقد انتشرت فى ذلك الوقت الجاسوسية على أيدى رجال الدين اليهـودى المتنـصرين فظهر من بينهم، ما يعرف بـ "الواشى" الذى كانت مهمته التبليغ عن أهل ملته ، وكـان هذا الواشى يحصل على عائد مالى مقابل تبليغه عن أخيه من أهل ملته ، وكان عدد منـهم يشغلون مناصب الأسقفية والرهبنة ، ومنهم أعضاء فى المجلس الأعلى للتفتيش . وكان لفظ الواشى maisin منتشرا لدرجة أنه أصبح ضمن مفردات اللغة الإسبانية [٢] ويمكن أن نقول أن أعنف الضربات التى لحقت باليهود المتنصرين من جراء محاكم التفتيش كانت على أيدى الحاخامات اليهود الذين اعتنقوا المسيحية[٣] .

ولم يكن الإبلاغ عن مظاهر الهرطقة واجبًا قوميًّا ودينيًّا فحسب بل كان الامتناع عـن ذلك يعد جريمة ينزل بمرتكبها عقاب شديد . فى الوقت الذى قدمت محـاكم التحقيـق إلى جانب التهديد بالعقاب حافزًا ماديًّا ، فكان الواشون يحصلون على مكافآت مالية تتناسـب والأحكام التى تصدر على المتهمين فى حال ثبوت التهم الموجهة إليهم .

وكانت المحاكم تصرف لبعض الواشين شهادات "حسن سلوك" يُمكـن اليهـود مـن استخدامها ، إلى جانب شهادات نقاء الدم ، لشغل المناصب الرفيعة أو المهمة فى الدولـة . ومع الزمن تطورت الحاجة لحماية هؤلاء الواشين من انتقام ذوى المتهم المدان فكانت المحاكم تحفظ سرية أسمائهم وعناوينهم ، وتمنع المتهم من مواجهة متهمه مهما كانـت الظـروف أو نوع الاتهام .

وكانت المحاكم تصدر لوائح تنظيمية سنوية توضح الوشاية وتحدد أنواعها ، لـذا كـان سهلاً على الإسبان ، وحتى بعض اليهود وربما بعض الأندلسيين أيضًا ، التعرف على نـوع الهرطقة الذى يمكن إبلاغه إلى عمال محاكم التحقيق .

---

(1) كاسترو ، مرجع سابق ، ص٦٠٢ .

(2) المرجع نفسه ، ص٦٠٢ .

(3) نفسه ، ص٦٠٥ .

إلاّ أن هذه اللوائح كانت خاصة باليهود وببعض المسيحيين ذوى الممارسات الدينية غير الكاثوليكية . واقتضت ضرورات تنفيذ أوامر كارلوس الخامس وضع لائحة خاصة تمهيدًا لدعوة الشعب الإسبانى إلى الوشاية بهم . وتقع هذه المهمة على المحقق العام الذى يجمع العناصر والمظاهر القابلة للوشاية فى لائحة جرى تعليقها فى الأماكن العامة يتقدمها أمر بأهمية الوشاية بمن يمارس أيًا من البنود المذكورة خلال ستة أيام من رؤيتها أو تعريض نفسه للعقوبات الصارمة ومخالفة تعاليم الكاثوليكية .

وقد استندت الأحكام إلى أساس هش ، وكان الضحايا يظلون فى السجون سنوات طويلة، وأحياناً يموتون قبل أن تبدأ محاكمتهم [١] .

وفى هذا الصدد يقول "خان دى ماريانا" المؤرخ التابع لجماعة الجيزويت

"إن الشيء الغريب فى الأمر هو أن يدفع الأبناء ما ارتكبه الآباء ، كما أن المتهم لا يعرف من اتهمه ولا يواجهه ، ولم يكن هناك أى بيان عن الشهود ، وهذا كله مخالف لما حدث فى المحاكم السابقة ، كما بدا لهم جديرًا معاقبة تلك التهم بالموت ، والأخطر من كل هذا عدم ممارسة الحرية فى الحديث فيما بين الناس خشية أن يكون هناك من يشون بهم ويبلغون عما يحدث ، الأمر الذى أدى إلى حالة خطيرة من الإذلال الذى هو على شفا الموت " [٢] .

وقامت محاكم التفتيش بوضع المتنصرين الجدد تحت رقابة شديدة بهدف التأكد من عدم ممارستهم لشعائر دينهم الأصلى بهدف معرفة قدر ولائهم للدولة . وكانت تتعقبهم فى كل أنحاء العالم، وارتكبت كثيرًا من الفظائع ضد كل متنصر يقوم بشعائر دينه فى الخفاء ، وقد نشأت الكثير من الحوادث الدامية مثل ارتكاب أكثر من ١٠٠٠٠ حادثة حرق للمتنصرين اليهود على الموقد في المحاكم وأديرة القضاء التي كان يطلق عليها باللغة البرتغالية "אוטו דה פה" أي أحكام تنفيذ الإيمان ، كما تم إحراق الألوف من المتنصرين [٣] .

---

(1) كاسترو ، مرجع سابق ، ص٧٠٤ .

(2) مرجع نفسه ، ص٦٠٣

(3) مكاريوس : ، مرجع سابق ، ص٦١٩.

وقد شبه اليهود ما حدث لهم من اضطهاد فى إسبانيا بأكثر مما لاقوه فى سقوط أورشليم، فذكروا أن أكثر من نصف مليون يهودى أجبروا على ترك البلاد التى سكنوها نحو سبعة قرون، وأجبروا على التخلى عن أملاكهم وأموالهم حيث تفرقوا فى المغرب وإيطاليا وفرنسا وتركيا ، واستمر هذا الاضطهاد فى إسبانيا حتى أواخر القرن السابع عشر [١] .

وقد تم إلغاء محاكم التفتيش فى البرتغال فى القرن الثامن عشر ١٩/١٠/١٧٣٩ بتدخل من البابوات ، بينما تم إلغاؤها فى إسبانيا فى القرن التاسع عشر[٢] .

وعلى هذا فقد استمرت محاكم التفتيش فى إسبانيا فترة تقارب الأربعة قرون أما فى البرتغال فكانت فترة استمرارها أقل ، حيث تزيد على القرنين بقليل.

وإذا كنا لا ننفى الفظائع وأعمال العنف التى اتخذتها محاكم التفتيش ضد المارانوس اليهود فإننا لا نبرئ اليهود من الأعمال والممارسات الاستفزازية تجاه الشعب الإسبانى من ممارسة الربا واستخدام الرشوة واستغلال الأموال للضغط على الحكام باعتبارهم ممولاً جيدًا إلى جانب استيلائهم على مناصب مهمة على حساب أصحاب البلاد الأصليين ، هذا إلى جانب أمور الخيانة والوشاية التى شهدتها تلك الفترة من اليهود أنفسهم الذين خانوا أبناء ملتهم واخوانهم فى الدين وعلى رأسهم الحاخامات اليهود الذين تنصروا وأصبحوا قساوسة ورؤساء تعميد مسيحيين بل ومشاركين فى تنفيذ محاكم التفتيش ضد إخوانهم اليهود .

---

(1) المرجع نفسه ، ص٦٢٠ .

(2) האינציקלופדיה היהודית "דעת". ערך אינקוויזיציה

الفصل الثانى

المارانوس بين الظاهر المسيحي والباطن اليهودى

تعتمد الشخصية اليهودية على أسلوب التخفى والتكتم وإظهار ما ليس بباطنها ، ودائما ما يحرص اليهودى على إخفاء مقاصده الحقيقية بوسائل خفيــة يتوســلون بهــا لتحقيــق أغراضهم، هذه الوسائل كانت دأبهم عبر تاريخهم الطويل والنموذج الذى نتخذه لإبراز هذا هو المارانوس اليهود الذين مارسوا كل الوسائل الخفية والسرية فى إسبانيا داخل الأوســاط المسيحية حتى يحققوا أهدافهم التى تنوعت بين مــصالح شخــصية وسياســية واجتماعيــة واقتصادية وغيرها ، فقد مارسوا كافة الوسائل لإظهار الإخلاص للمسيحية ، وفى الوقــت نفسه كانوا يتبعون اليهودية ويعتقدون بعقائدها ويؤدون شعائرها سرًّا .

وسوف نتعرض فى هذا الفصل لممارسات المارانوس اليهود وحرصهم على مزاولة العقائد والشعائر المسيحية حيث افتقدوا هويتهم الدينية والأصلية ، كما نتعرض للوســائل الــتى اتبعوها لأجل إخفاء عقيدهم وإبراز مدى قدرهم على التخفى والاندماج فى المجتمعات التى يقيمون داخلها.

المبحث الأول

ممارسة المارانوس الشعائر المسيحية

كانت الطائفة المسيحية الأولي في أول الأمر عبارة عن طائفة يهودية مسيحية ثم أصبحت تتألف من المتحولين الوثنيين إلي المسيحية ، وكانت طائفة غير شرعية مارست طقوسها في الخفاء ، ويعد القديس بطرس أول بابا يهودي ، وأول رئيس لكنيسة روما (١) .

وكان يسوع الناصرى يهوديًا وأيضًا بولس الطرسوسى (٢) .

وكانت العصابات الكنسية المسيحية ، هي مصدر الإرهاب لجماعات المتنصرين ، مما جعل التمسك باليهودية من الأمور الصعبة للغاية ، خصوصًا بعد طرد اليهود من إسبانيا عام ١٤٩٢ ، مما أدى إلى قطع البعض كل صلة مع اليهود واليهودية ، وقد تنوعت درجة التمسك باليهودية بين صفوف اليهود المتنصرين .

ويتضح من الممارسات الدينية التى قام بها المتنصرون اليهود فى المجتمع الإسبانى مدى تمكن العنصر اليهودى للسعى لتحقيق مصالحه ولو كان على حساب عقيدته ودينه .

فقد مارس المارانوس الذين تحولو إلى المسيحية جميع الشعائر التي تقتضيها الديانة المسيحية في العلن كمحاولة لاظهار صدق تنصرهم . فكانوا يُعمِّدون أطفالهم بحسب التقليد المسيحى، ويذهبون إلى الكنيسة يوم الأحد ، ويذهبون للاعتراف دون أن يدلوا بأية اعترافات حقيقية، وكانوا يتناولون القربان في الكنيسة ثم يبصقونه خارجها (٣) .

---

(1) برنز يواكيم ، مرجع سابق ، ص٧٨ – ٧٩ .

(2) المرجع نفسه ، ص٦٥ .

(3) وهو تابع للعشاء الرباني"الأفخارستيا" في الطقوس المسيحية ، ويوجب على المسيحى تناوله ويكون بالخمر أو الماء ومعه الخبز الجاف الذي يتحول "في زعمهم " الماء أو الخمر إلى دم المسيح والخبز إلى عظامه ، ومن يتناوله يمتزج في تعاليمه ، ويعتقدون أن المسيح أكله مع تلاميذه ليلة القبض عليه قبيل ذهابه إلى بستان جشيماني ويعتقدون أن الخبز يتحول إلى لحم المسيح في لحومهم وقد ورد في إنجيل متى ٢٦/٢٦-٢٨ : " وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال : خذوا وكلوا هذا هو جسدي " ويستعمل الكاثوليك الفطير بدلاً من الخبز المختمر . الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف

وداخليًا : كان معظم المارانوس اليهود يعتقدون أن الخلاص سوف يتم من خلال شريعة موسى، وليس عن طريق الكنيسة أو المسيح ، ويؤمنون بأن تنصرهم القسري هو جزء من العقاب الإلهي الذي حاق باليهود ، تماماً مثلما حدث لليهود أثناء النفي وقد مثلت شخصية " إستير " مثالاً للفكر الديني لدى المارانوس باعتبارها صورة مُسبَقة لما يحدث لهم ؛ وذلك لأن إستير، اضطرت إلى إخفاء هويتها الدينية مدة من الزمن ، حتى تحرز مكانة متميِّزة داخل البلاط الفارسي .

وخلاصة قصة إستير كما وردت فى الكتاب المقدس [1] أن ملك الفرس "أحشويروش" — كان قد اتخذ له وزيرًا اسمه "هامان" . وكان هذا الوزير يكره رجلاً من حكماء اليهود ، اسمه "مردخاى"، كراهية شديدة تعدت شخصه إلى الجنس اليهودى كله ، بحيث أقسم هامان أن يقطع دابرهم جميعًا من بلاده . وأجرى هامان القرعة لاختيار يوم مذبحة اليهود [2] وأسفرت هذه القرعة عن تحديد الثالث عشر من آذار (مارس) موعدًا لتنفيذ عملية الإبادة فى اليهود ، وأعدت مشنقة فى الساحة العامة حتى يعلق فيها مردخاى اليهودى . وكان مردخاى هذا وصيًا ووليًا على قريبته "إستير" التى كان جمالها مضرب الأمثال . وكان "أحشويروش" ملك الفرس عاشقًا لها مغرمًا بها بحيث أفسح لها مكانًا فى قاعدة ملكه ، وأبدى فى مناسبات كثيرة الطاعة لأمرها لدرجة أنها كانت تسمى "الملكة إستير" .

وتحكى أحداث القصة التوراتية ان اليهودى مردخاى ذهب مستنجدًا بإستير ، فأجابته بقولها "اذهب وأجمع كل اليهود الذين فى شوشان (عاصمة المملكة التى تسمى سوزه أيضًا) وصوموا لأجلى ولا تأكلوا ولا تشربوا ثلاثة أيام ليلاً ونهارًا ، وأنا ووصيفاتى نصوم كذلك، ثم أدخل على الملك ، على خلاف العادة ، فإن هلكت هلكت" وتستمر القصة من سفر إستير فتقول :

مانع بن حماد الجهني، ط ٤ ، دار الندوة العالمية للطبع والنشر والتوزيع ، الريـاض ، ١٤٢٠هـ ٥٧٦/٢ ، ١٠٩٤ .

(1) تقول الفقرة فى التوراة : " اذهب اجمع جميع اليهود الموجودين في شوشن وصوموا من جهتي ولا تأكلوا ولا تشربوا ثلاثة أيام ليلاً ونهارًا وأنا أيضا وجواري نصوم كذلك ، وهكذا ادخل إلى الملك خلاف السنة ، فاذا هلكت هلكت . فانصرف مردخاي وعمل حسب كل ما اوصته به إستير " . سفر إستير ١٦/٤ .

(2) البوريم عند اليهود ، القرعة وكلمة القرعة فى اللغة الفارسية "بور" أو "فور" ، وجمعها بالعبرية "بوريم" .

"وكان فى اليوم الثالث أن لبست إستير ثياب المُلك ، ووقفت فى ساحة دار الملك الداخلية... فكان لما رأى الملك إستير الملكة واقفة فى الساحة ، أنها نالت حظوة فى عينيه ، فمد الملك لإستير صولجان الذهب الذى بيده ، فتقدمت إستير ، ولمست رأس الصولجان ، وقال لها الملك : مالك يا إستير الملكة ، وما بغيتك ؟ ولو كانت نصف المملكة فإنها تعطى لك . فأجابت إستير : إن حَسُن عند الملك ، فليأت الملك وهامان هذا اليوم إلى الوليمة التى أعددتها له . فقال الملك : استعجلوا هامان ليفعل كما قالت إستير . فخرج هامان ذلك اليوم فرحًا طيب القلب .

ولما رأى "هامان الفارسى" ، "مردخاى اليهودى" بباب الملك ، وأنه لم يقم له ولم يتحرك، امتلأ هامان غيظًا على مردخاى . ولكن هامان ضبط نفسه ، وجاء إلى بيته وأرسل فأحضر أصدقاءه وزوجته "زراش" . وحدثهم هامان بعظمة ثروته وكثرة بنيه وكل ما كرمه به الملك، وكيف رفعه على الزعماء وعبيد الملك . وقال هامان : وفوق ذلك فعن إستير الملكة لم تُدخل أحدًا إلى الوليمة التى صنعتها إلا إياى مع الملك ، وأنا غدًا مدعو أيضًا إليها مع الملك، إلا أن هذا كله عندى لا شئ، ما دمت أرى مردخاى اليهودى جالسًا بباب الملك فقالت له "زراش" زوجته وجميع أصدقائه: لتصنع خشبة بعلو خمسين ذراعًا ، وغدًا كلم الملك فيعلق عليها مردخاى ، ثم ادخل مع الملك إلى الوليمة مسرورًا ، فحسن الأمر عند هامان وصنع الخشبة .

وتستمر إستير هى ومردخاى فى حبك المؤامرة ، والملك يسكر معها حتى انتهى الأمر بشنق "هامان" على الخشبة التى كان قد أعدها لمردخاى ، وسلم الملك بيت هامان لإستير التى عينت فيه مردخاى وكيلاً . ويقول سفر إستير أنه فى اليوم الثالث عشر من آذار الذى كان فيه أعداء اليهود يرجون التسلط عليهم ، "انقلب ذلك فكان لليهود التسلط على مبغضيهم . إذ اجتمع اليهود فى مدائنهم ، فى جميع أقاليم أحشويروش الملك ، لكى يلقوا أيديهم على جميع طالبى مساءتهم ، فلم يقف أحد فى وجوههم ؛ لأن خوفهم وقع على جميع الشعوب . وكان جميع رؤساء الأقاليم والأقطاب والولاة ووكلاء عمل الملك يساعدون اليهود ، لأن خوف مردخاى وقع عليهم . إذ كان مردخاى عظيمًا فى بيت الملك ، وقد سار ذكره فى جميع الأقاليم ، لأن مردخاى كان آخذًا فى العظمة فضرب اليهود جميع أعدائهم ضرب السيف والقتل والإهلاك .

وأما اليهود الذين فى شوشان فإنهم اجتمعوا فى الثالث عشر والرابع عشر من شهر آذار (مارس)، واستراحوا فى الخامس عشر منه ، وجعلوه يوم وليمة وفرح ؛ ولذلك جعل اليهود الذين فى القرى ، الساكنون مدائن غير محصنة ، اليوم الرابع عشر من شهر آذار يوم فرح ووليمة ، ويوم خير وتوجيه "أنصبة" من بعضهم إلى بعض ... لذلك دعوا هذين اليومين بوريم أخذا من اسم البور. وسن اليهود وأوجبوا على أنفسهم وعلى نسائهم وعلى كل من يتصل بهم، ألا يبطل تعييدهم لهذين اليومين بحسب كتابتهما وأوقاتهما كل سنة [1] .

ومن سياق قصة إستير نجد أنها استطاعت بالتخفي والمكر والخداع ان تستبدل القاتل بالمقتول والوصول إلى السلطة لذا فقد اعتبر المارانوس أن أسلوب حياتهم المتخفى فى إسبانيا يتسق مع ما فعلته إستير فى فارس .

ونظرًا لازدواج شخصيات المتنصرين فقد ازدوجت ممارساتهم العبادية ، ويظهر ذلك من خلال حرصهم على الذهاب إلى الكنائس المسيحية ، والصلاة التى يؤدونها ، فى الكنائس المسيحية وتناولهم الخبز الكنسي ، وإظهار ولائهم الكامل للقسيسين والأساقفة ، وفى نفس الوقت كانوا يحرصون على أداء شعائرهم اليهودية داخل بيوتهم ، ويوقدون شموع السبت ، ويحتفلون بالأعياد اليهودية ، حتى بات من الصعب كشف هويتهم الدينية .

وكان أول عمل يقوم به المتنصر حين يدخل المسيحية هو التعميد ، ويحمل التعميد معنى مهمًّا ؛ لأن الكاثوليكية تعتبره عقدًا بين المعُمَّد والكنيسة فإذا أخلفه حق عليه العقاب ، ويجب على محاكم التحقيق اعتقاله أينما كان ومهما كانت جنسيته . وعندما فرضت الكنيسة على الأندلسيين قبول هذا العقد لم يبق بعد ذلك سوى متابعته ؛ لذا نجد أن الملك ألفونسو "مانريك" أمر فى آيار (مايو) (١٥٢٥) جميع الأندلسيين المعُمَّدين بالتوجه إلى كاتدرائية بلنسيا لإبرائهم من تهم الهرطقة ، وتوعد من يرتد منهم بعد التعميد بالإعدام ومصادرة الأموال والممتلكات .

وفى (١٣ أيلول سبتمبر عام ١٥٢٥) وجه كارلوس إلى الأندلسيين فى بلنسيا أمرًا بقبول التعميد رغبة فى "إنقاذ أرواحهم وانتزاعهم من الضلال الذين يعيشون فيه " فى ١٦ تشرين الأول (أكتوبر) من العام نفسه تم إجبار الأندلسيين على التعريف بأنفسهم عن طريق وضع

---

(1) ظاظا ، مرجع سابق ، ص ١٧٣ –، ١٧٥ .

هلال من قماش أزرق على قبعاهم بحجم البرتقالة ، ولحق به أيضًا قرار آخر صـــدر فى ١٨ تشرين الثانى من العام ذاته بإجبار الأندلسيين على الإبلاغ عن أى متحول يرجع إلى دينه .

أما آخر سلسلة القرارات التى عرفها العام ١٥٢٥ فهو الذى صدر فى الثامن من كانون الأول (ديسمبر) ونص على وجوب قيام محاكم التحقيق والكنيسة بتعميد جميع المتحـــولين قسرًا قبل ٣١ كانون الثانى (يناير) من العام بعده .

وكان أداء التعميد المسيحى يعد ميلادًا جديدًا للمتنصر، يتبعه تحوله إلى اســـم جديـــد مسيحى غير مسماه اليهودى المعروف ، ومثال علي ذلك أسرة بيرليوني التي تحولت كلها فى روما إلي المسيحية عام ١٠٣٠ وأدت طقوس التعميد وكان رئيس هذه العائلة هو "باروخ" الذى أطلق علي نفسه اسمًا مسيحيًا هو "بندكتوس" أي المبارك حيث أعلن نبذه لاسمه العبري ودينه[١] .

أما إجراءات طقوس التعميد التى مارسها المسيحيون فتمثلت فى الآتى :

– كان الكاهن يقوم بالنفخ فى وجه المتنصر كما نفخ المسيح روح القدس فى حوارييه .

– ثم يشير كل متنصر إشارة الصليب على جبهته وكتفيه .

– ثم تتلى صلاة القربان المقدس .

– ثم يوضع فى أفواه المتنصرين ملحًا ، ويقصدون به ملح الحكمة المقدس وذلك حـــتى يكتسب المعتنق الجديد المناعة والقوة التى تساعده على مقاومة الفساد – بحسب اعتقادهم.

– وبعد ذلك يقوم المتنصر المعمد بالركوع من أجل الاستغفار .

– ثم يستعدون لمغادرة الكنيسة فيتناولون الخبز والخمر على المذبح .

– ثم يتناولون العشاء الربانى المقدس[٢] .

وبالنسبة لعقيدة المسيحى فإن كل شخص غير معمد يكون جسمه مكانًا لسكن الشيطان وبعد التعميد يصبح مسكنًا للمخلص يسوع [٣] .

وكان اليهودى المتحول للمسيحية يلتزم بأداء قسم أمام الكنيسة وهو كالتالي:

---

(1) برنز يواكيم ، مرجع سابق ، ص٤٩ .

(2) المرجع نفسه ، ص٥٠ ، ٥١ .

(3) المرجع نفسه ، ص٥٠ .

- أقسم قسمًا مغلظًا أننى أعتقد بأن الضحايا المسجلة فى العهد القديم ، ما هى إلا بشائر للتضحية المقدسة الكبرى للمسيح ، كما عاناها على الصليب .

- أقسم أن قضية خلاص الإنسان من خلال المسيح ، قد أعلن عنها الرب فى وعوده لإبراهيم والرسل الآخرين ، وأن هذا الأمر لم يعره الإسرائيليون أى اهتمام ، بل على العكس صلبوا المخلص المنتظر وهو المسيح نفسه .

- أقسم أنى إن انحزت أو تزحزحت عن هذا الايمان الحقيقى ، وهو إيمان الكنيسة الكاثوليكية، بأنى أستحق الموت .

- أقسم أنى عن طيب خاطر ، وبشكل طوعى ، ومن كل قلبى ، وروحى وقدرتى أقبل شريعة المسيح، وأرفض كل شريعة عداها ، وأنه طبقًا لدينى القديم الذى وضع فى العهد القديم يلزم شاهدان أو ثلاثة لإقرار الحق ، وازهاق الباطل ، ولكن حقيقة المسيح قد أثبتها اثنا عشر شاهدًا ، وهم حواريو المسيح الاثنا عشر .

- أقسم أنه مع أن شعبى وأنا قد رفضنا المسيح سابقًا ، إلا أننا الآن قد قبلناه فى مجده وعلاه .

- أقسم أننى أعتقد الآن أن مجىء المسيح قد ثبت بشهادة التوراة والأنبياء .

- أقسم أننى أرفض شرائع ومبادئ اليهود ، وسوف أتناول الأطعمة ، التى حرمتها الشريعة اليهودية ، ما لم يكن تجنبها أمرًا طبيعيًّا غير صادر عن الخرافات والأساطير القديمة .

- أقسم أننى من الآن فصاعدًا ، سوف أمتنع عن الاتصال باليهود الذين لم يتحولوا بعد.

- أقسم بأن أسلم إلى السلطات اللاهوتية المسيحية جميع الكتب التى بحوزتى بما فيها الأبوكريفا (المحذوف من التوراة) حتى أتجنب الوقوع فى أى اشتباه أو شك فى إخلاصى وولائى للدين الجديد .

- أقسم ألا أقترب من الكنيس اليهودى ، وبالتأكيد ألا أدخل أى بيت يهودى للعبادة ، بل أوجه خطواتى نحو طريق آخر حتى لا أمر ببيت العبادة ذاك.

- أقسم أن كل ما قلته فى هذا القسم صحيح بالنسبة لنفسى وبالنسبة لأفراد عائلتى "[1].

---

(1) برنز يواكيم ، مرجع سابق ، ص٥٧ ، ٥٨ .

وقد كان أي انتهاك لهذا القسم ينال عقاباً صارماً والعقاب هو :

إذا عاد المتحول واشترك في عيد الفصح اليهودى كان يعاقب بالجلد – مئة جلدة بالسوط – مع مصادرة أملاكه وربما نفى [1] .

وهناك وثيقة تدعى البلاسيتوم وهى التى توجب على كل يهودى يتنصر أو يتعمد أن يوقع عليها وجاء فيها :

" أتعهد إننى لن أدنس أو أهجر الدين المسيحى المقدس ، الذى قد قبلته من خلال ماء التعميد، ولن أخالفه لا بالأقوال ولا بالأفعال ، ولن أسبب له أية إهانة أو إساءة علنية أو سرية ، ولن أزوغ عن التعميد الحقيقى ، لا بالهرب ولا بالاختباء ، ولن أفكر فى حياتى بالرجوع إلى الأخطاء الماضية، ولن أحاول أن أتملص من الالتزامات التى أتعهد بإنجازها بإخلاص ، وأثبتها بتوقيعى الخاص فى أسفل هذا التصريح ، ولن أحاول إخفاء أى شخص يتورط فى عمل المحرمات الممنوعة وفى العادات والتقاليد اليهودية الشيطانية ، وأعد أن أسلم هذا الشخص إلى السلطات الكنسية ، وأن أعلم وأخطر هذه السلطات عن أية إشاعة تشير إلى مكان اختباء هذا الشخص ، وإنى على تمام العلم أن أى خرق أو تدنيس لهذه الالتزامات التى تعهدت بها استحق عليه عقوبة الموت ، ولن احتفل بعيد الفصح اليهودى ، ولا أى عيد يهودى آخر، ولن أتزوج أية امرأة يهودية ، ولن أمتنع عن تناول أى طعام أو ألتزم بأى نوع من المآكل عدا المآكل والأطعمة المسيحية" [2] .

ويلاحظ إحاطة القسم بكافة النواحى الإيمانية للفرد المتنصر داخل المسيحية التارك اليهودية بل وتعدى القسم الجوانب الايمانية إلى كافة الجوانب الحياتية والسلوكية بحيث يقطع المتنصر أى صلة له بدينه القديم وهو اليهودية ، وفى الوقت نفسه يوثق كل الصلات بدينه الجديد وهو المسيحية .

ويلاحظ أيضًا أن الالتزام بتطبيق المسيحية كان صارمًا وان أى تهاون عن هذا الالتزام سوف يعرض صاحبه لعقوبة شديدة تصل إلى الموت أو الحرق .

---

(1) برنز يواكيم ، مرجع سابق ، ص٥٨ .

(2) المرجع نفسه ، ص٥٩ ، ٦٠ .

لكن على الرغم من تلك التعهدات والالتزامات إلا أن اليهود المتنصرين لم يلتزموا بها ببراعة فقد اتضح من فحص عدد من الوثائق الخاصة بمحاكم التفتيش ، ووثائق أخرى أن عددًا كبيرًا من المسيحيين الجدد ظلوا متمسكين بعقيدهم اليهودية ونجحوا في إقامة حياة يهودية سرية في إطار طائفي تنظيمي ، حيث كانت تتم اجتماعاهم سرًّا داخل منازل خاصة على مدي ٢٠٠ عام ، وقد تمكنت محاكم التفتيش من تعقب عدد من المسيحيين الجدد الذين ذهبوا إلى أوروبا ، وعادوا ليهوديتهم ، أما المسيحيون الجدد في البرتغال فكانوا أصحاب بأس وقوة داخلية تنبع من قوهم العقائدية ، ومعرفتهم الخبيرة بالعادات والنظم اليهودية [١] .

(1) ליסק. רבקה שפק (ד"ר).לקחים הסטוריים . יהדות סודית בצל האינקוויזיציה .
www.omedia.co.il ١-٤-٢٠٠٧

المبحث الثانى

أساليب المارانوس في ممارسة الشعائر اليهودية

حرص المارانوس الذين أبطنوا اليهودية على أداء طقوسهم وشعائرهم الدينية اليهودية بأشكال سرية مستخدمين أساليب عدة من أجل إخفائها ومن هذه الأساليب :

- كان المتنصرون اليهود يستخدمون كودًا سريًا קוד סודי لأجل التعرف والاتصال بذويهم فى أى مكان فى العالم ؛ وذلك حفاظًا على سرية المراسلات بينهم ، حيث تم الاحتفاظ بعدد من الوثائق المكتوبة من جانب اليهود في المتحف البريطاني بشكل كود شفري سري . وكان كل منهم يعرف أخاه اليهودى عن طريق وضع يده اليمنى على رأسه أثناء الحديث ، وكانت صيغة السؤال وصيغة الإجابة من وسائلهم للتعرف على أقرانهم من اليهود المتنصرين [١] .
- كانوا يبنون معابدهم فى الأحياء التى يسكنون فيها على شكل الكنائس الكاثوليكية فى مظهرها الخارجى ، وتحوى أجراسًا وصلبان وصورًا وتماثيل مثل الكنائس المسيحية تمامًا ، بينما كانوا يتعبدون داخلها بحسب طقوسهم اليهودية [٢]
- كان المتنصرون يفضلون السكن في الأديرة المسيحية التابعة للرهبان فى عزلة وصمت؛ وذلك لأن الدير كان المكان المناسب لإقامة أي شريعة فى سرية بلا خوف ، وقد تعقبتهم محاكم التفتيش وتم تحريم دخول المتنصرين اليهود إلى تلك الأديرة [٣] .
- كان امتلاك تماثيل القديسين أمرًا معتادًا في البيوت المسيحية[٤] ؛ لذا فقد قام المتنصرون بالاحتفاظ بتماثيل القديسين في بيوتهم لدواعي الشعور بالأمان ، لكنهم كانوا

(1) ליסק. רבקה שפק (ד"ר).לקחים הסטוריים

(2) ظاظا ، مرجع سابق ، ص٢٥٨ .

(3) he.wikipedia.org/wiki/אנוסים

(4) يعتقد المسيحيون بالإيمان بالسيدة مريم العذراء ، وأنها والدة الإله ، ولذا يوجبون تقديسها كما يقدسون القديسين والأيقونات غير المجسمة ويتخذونها رمزًا وشعارًا ، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ، مرجع سابق ، ٢ /٥٩٤ .

يوجهون وجوه هذه التماثيل تجاه الحائط . وحين زيارة أحد من المسيحيين منزلهم ، كانوا يديرون وجوه التماثيل المسيحية تجاه الغرفة وليس للحائط وحين مغادرة المسيحيين لمنزلهم كانوا يقومون بضرب تلك التماثيل הכאת פסלי קדושים והסתרת פניהם(١) .

- وبهدف التمويه كان المتنصرون يؤشرون على جباههم وصدورهم بعلامة الصليب بينما يستعملون نصف العلامة فقط (٢) .

- استطاع بعض المتنصرين إقامة عدد من المعابد اليهودية سرًّا ، في مناطق مختلفة في العالم وكان أعضاؤها منضمين لطوائف في أماكن أخرى مثل ولاية "مكسيكو سيتي" ، وفي إسبانيا الجديدة ، وفي عدد من المستوطنات التابعة للسلطات الإسبانية ، كذلك كان الأمر مع طوائف "ريو دي جنيرو"، والشمال الشرقي للبرازيل وغيرها (٣) .

عقيدة المارانوس في قدوم المسيح אמונה בבוא המשיח:

لم يؤمن المتنصرون بالثالوث المقدس المسيحي ، ولم يؤمنوا بيسوع المسيح ، لكنهم كانوا يؤمنون أنه عندما يأتي المسيح ابن داود ، سوف يتم تخليصهم ويستطيعون أن يحيوا في سلام ودعة . كما كانوا يشعرون بالإثم ، بسبب تنصرهم إلا أنهم مع ذلك كانوا يستخدمون الصليب ويضعونه على صدورهم ظاهريًّا ؛ لذلك اعتادوا أن يصوموا ، وقاموا بتأليف صلاة خاصة لطلب السماح والغفران من الرب إله إسرائيل (٤) .

---

(1) أجاز الكاثوليك عبادة الصور والتماثيل ويعتقدون بوجوب تكريم أيقونة المسيح والعذراء مريم والقديسين ، ويرون أنه من الواجب السجود لبقايا القديسين وتكريمهم والتضرع بهم إلى الله ، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ، مرجع سابق ، ٢/٥٩٤ أما العهد القديم فقد نهى عن تقديس التماثيل وهو ما جاء في سفر التثنية ٥ : ٨ :" لا تصنع لك تمثالا منحوتا ، ولا صورة ما مما في السماء من فوق ، وما في الأرض من أسفل ، وما في الماء من تحت الأرض . لا تسجد لهن ، ولا تعبدهن لأني أنا الرب إلهك غيور " ، وجاء في التثنية ٤ : ١٥ "فَاحْذَرُوا لأَنْفُسِكُمْ جِدّاً، فَأَنْتُمْ لَمْ تَرَوْا صُورَةً مَا حِينَ خَاطَبَكُمُ الرَّبُّ فِي جَبَلِ حُورِيبَ مِنْ وَسَطِ النَّارِ. لِئَلاَّ تَفْسُدُوا فَتَنْحَتُوا لَكُمْ تِمْثَالاً لِصُورَةِ مَا لِمِثَالِ رَجُلٍ أَوِ امْرَأَةٍ " وفي سفر اللاويين ٢٦ : ١ : "لاَ تَصْنَعُوا لَكُمْ أَصْنَاماً، وَلاَ تُقِيمُوا لَكُمْ تَمَاثِيلَ مَنْحُوتَةً، أَوْ أَنْصَاباً مُقَدَّسَةً، وَلاَ تَرْفَعُوا حَجَراً مُصَوَّراً فِي أَرْضِكُمْ لِتَسْجُدُوا لَهُ " .

(2) برنز : يواكيم ، مرجع سابق ، ص٤٧ .

(3) المرجع نفسه .

(4) ליסק. רבקה שפק (ד"ר).לקחים הסטוריים

هذا وقد مارس المارانوس شعائرهم اليهودية بطرق سرية وخفية حتى لا يلفتوا أنظار المراقبين المسيحيين لهم ، وفى الوقت نفسه يشعرون ببعض الأمان الداخلى فى أداء شعائر دينهم الأصلى المحظور عليهم أداؤه فى الظاهر .

كيفية تطبيق المارانوس لطقس الختان :

يطلق على الختان فى اللغة العبرية "ميلاه" (מילה) ويطلق عليه أيضًا بريت ميلاه "ברית מילה" أى عهد الختان ويعد من أهم الشعائر والفرائض الدينية فى اليهودية ، فالطفل فى الشريعة اليهودية يختتن بعد ميلاده بسبعة أيام على الأكثر– حتى ولو وقع اليوم السابع في يوم السبت ، أو في عيد يوم الغفران ، أكثر الأيام قداسة ، وقد أمر بالختان منذ عهد إبراهيم – عليه السلام – وهو رمز للعهد المبرم بين الرب واليهود ودليل ارتباط الطفل بعقيدته اليهودية .

لذا فقد سبب القيام بطقس الختان مشكلة كبيرة لدى المارانوس اليهود ؛ نظرًا لأنه كان محظورًا عليهم الختان باعتبارهم مسيحيين ، وفى الوقت نفسه كان لابد من أدائه باعتبارهم يهودًا؛ لذا فقد حاولوا إخفاء ختانهم عن محاكم التفتيش ، عن طريق جرح القلفة ، وليس استئصالها كاملة[1] .ويقول د. حسن حنفى : "بالرغم من تخلى يهود إسبانيا عن دينهم وتحولهم إلى الكاثوليكية...إلا أنهم حافظوا على طقس الختان رمزًا للرباط الأبدي بينهم"[2].

---

(1) ליסק. רבקה שפק (ד"ר).לקחים הסטוריים . وقد ذُكر الختان في العهد القديم في ثلاثة مواضع أهمها في سفر التكوين (١٧/١٠– ١٥) [هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك ، يختن منكم كل ذكر ، فتختنون في لحم غرلتكم ، فيكون علامة عهد بيني وبينكم ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر في أجيالكم وليد البيت ، والمبتاع بفضة من كل ابن غريب ليس من نسلك يختن ختانًا وليد بيتك ، والمبتاع بفضتك ، فيكون عهدي في لحمكم عهدًا أبديًا ، وأما الذكر الأغلف الذي لا يختن في لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها ، إنه قد نكث عهدي] . الشامي : رشاد : موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات القاهرة ، ٢٠٠٣ ، ص ٧٤ – ٧٥. والشامى : رشاد ، الرموز الدينية فى اليهودية ، مركز الدراسات الشرقية ، جامعة القاهرة ، عدد ١١، ٢٠٠٠م ، ص١١٠.

(2) إسبينوزا ، رسالة فى اللاهوت والسياسة ، ترجمة وتقديم حسن حنفى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨١م ، مقدمة الترجمة ، ص ٥٦ .

لمحافظة على شعائر السبت :

يعد السبت عيداً أسبوعيًّا عند اليهود وهو يوم مقدس يبدأ من غروب شمس الجمعة إلي غروب شمس السبت وقد ورد السبت في التوراة في الوصايا العشر التي ذكرت في سفر الخروج [١] وفي سفر التثنية [٢] .

وأهم شعائر هذا اليوم عند اليهود كما ورد في سفر الخروج ، الكف عن أي عمل ، وذلك لأن الله استراح فيه بعد انتهائه من تكوين الخليقة ، ويحرم فيه القيام بأي حرفه ، ويحرم إيقاد النار فيه ولكن تقاد فيه الشموع ، كما يحرم السفر فيه ، كما حرموا فيه إنفاق النقود والبيع والشراء، وحرموا الكتابة أو استخدام أقلام أو نقود أو كبريت ، وخروج اليهودى فى هذا اليوم يكون للمعبد فقط حاملاً التوراة أو كتاب الصلوات ، كما يحرم فيه عقود الزواج والحرب إلا في حالة الدفاع فقط [٣].

وقد سببت المحافظة على شعائر السبت " שמירת השבת " إشكالية كبيرة لدى المارانوس فى أدائهم لتلك الشريعة المقدسة ، حيث إن عدم إشعال الشموع "הדלקת נרות " يوم السبت يعد خطيئة فى اليهودية تستوجب الموت ؛ لذا فقد اعتادت نساء المتنصرين إيقاد الشموع واخفاءها تحت الموائد ، وتغطية النوافذ بقماش أسود اللون حتى لا يراهم أحد ، وكانت بعض الأسر تشعل الشموع طوال العام بما فيها أيام السبت والأعياد اليهودية ـــ حتى لا يتم كشف أمرهم [٤] كما اعتاد المارانوس اليهود إعداد طعام السخينة

---

(1) فى شأن شريعة السبت عند اليهود ورد فى سفر الخروج (٢٠ / ٨ – ١١) : اذكر يوم السبت لتقدسه ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب الهك لا تصنع عملاً ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذي داخل أبوابك لأن في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها واستراح في اليوم السابع لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه .

(2) جاء فى سفر التثنية (٥ / ١٢ – ١٦) : احفظ يوم السبت لتقدسه كما أوصاك الرب إلهك ستة أيام تشتغل وتعمل جميع أعمالك وأما اليوم السابع فسبت للرب إلهك لا تعمل فيه عملا ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وثورك وحمارك وكل بهائمك ونزيلك الذي في أبوابك لكي يستريح عبدك وامتك مثلك واذكر أنك كنت عبدا في أرض مصر فأخرجك الرب الهك من هناك بيد شديدة وذراع ممدودة ، لأجل ذلك أوصاك الرب إلهك ان تحفظ يوم السبت ، ظاظا ، مرجع سابق ، ص ١٦٦ .

(3) المرجع نفسه ، ص١٦٧ .

(4) ליסק. רבקה שפק (ד"ר).לקחים הסטוריים .

أو الدفينة يوم الجمعة [1] ويظل الاحتفاظ بذلك الطعام طوال يوم السبت ، وعند حلول يوم السبت كان المتنصرون يرتدون ملابس نظيفة ويفتحون حوانيتهم ، لكنهم كانوا يتـــهربون من البيع لأي أحد بخدع عديدة؛ وذلك لأن الشريعة اليهودية تحرم البيع يوم السبت [٢] .

وقد كشف أحد المفتشين الكنسيين المكلفين بتعقب أحوال المتنصرين اليهود في أشبيلية ، ممارسة المتنصرين لشعائر السبت فيقول :

" لو أردنا معرفة كيف يحافظ المتنصرون على وصايا السبت فلنذهب ونصعد إلى البرج ، فسنجد أنه لا يوجد بيت من بيوت المتنصرين يتصاعد منه دخان ؛ لأهم لم يوقـــدوا نـــارًا بسبب وصايا يوم السبت"[٣] .

المارانوس والابن البكر :

هتم الشريعة اليهودية بالابن البكر ، ويعد خليفة لأبيه فى كل شئ عند القبائل الأولى . فهو يستولى على السلطة من بعده ، ويكون هو المتصرف فى كل ثروته ، وكثيرًا ما كانـــت المنافسات تشتعل بين الإخوة الصغار وأخيهم الأكبر البكر بسبب هذا . كـــذلك كانـــت تحدث مؤامرات ، ومغالطات حول انتزاع هذا الحق والاستيلاء عليه . وقصة يعقوب وتآمره مع أمه "رِفْقة" على انتزاع هذا الحق الذى كان لأخيه "عيسو" من أبيهما إسحق عندما شاخ وفقد بصره مشهورة ، ومذكورة بتفاصيلها فى الإصحاح السابع والعشرين من سفر التكوين فى التوراة . وفى الفقه اليهودى المعمول به الآن يكون "للولد البكر من الأب مثـــل حـــظ الولدين، فهو مميز بسهم بعلة البكورة"

وقد اعتاد المتنصرون أن يخفوا عن أبنائهم أصلهم اليهودى حتى يبلغوا سن التكليف [٤] لكنهم كانوا يحلفوهم ألا يفشوا سرهم ، أما الابن البكر" הבכורים לכנסייה" [٥] .

---

(1) الدفينة أو السخينة مجموعة من المأكولات التي يتم طهيها على مدى فترة طويلة وعلى نار هادئـــة ، وتختلـــف مكونات هذه الأطعمة حسب عادات كل طائفة يهودية ، لكن بشكل عام الدفينة تشمل بطاطس وبطاطا ولحـــم وفاصولياء وبيض ، وبعد ساعات عديدة من الطبخ ووضع الدفينة على النار يتحول الطعام ويأخذ لونًا آخـــر ، وهذه الأطعمة من عادات السبت عند اليهود wikipedia.org. ערך חמין .

(2) ליסק. רבקה שפק (ד"ר).לקחים הסטוריים

(3) האינציקלופדיה העברית ע ٣٥٥ – ٣٥٦ .

(4) يسمى الابن البالغ فى العبرية "בר מצווה" بارمتسفاه وتحدد اليهودية سن البلوغ أو الرشـــد عنـــدما يبلـــغ الصبي الثالثة عشرة من عمره فيعتبر"بارمتسفاه " أى الرجل المسئول ، أما سن البلوغ عند الفتاة فهو سن الثانية عشرة وعنـــدها يطلـــق عليهـــا "בת מצווה" وتكـــون ملزمـــة بالقيـــام بجميـــع الفـــرائض الدينيـــة . מצווה wikipedia.org/wiki/Mitzvah.

(5) ظاظا، مرجع سابق، ص ١٩٥ .

فكانوا لا يخبرونه بسرهم بل يرسلونه ليعمل بالكنيسة ليعرف أخبارها [١] .

سرية الاجتماع للصلاة התכנסות לתפילה :

الصلاة في بداية ظهور التوراة كانت عبارة عن تقديم القرابين للآله وكانت في عهد الأنبياء الأوائل غير محددة ولا إجبارية ، وكان الأنبياء يصلون صلوات تتلى ارتجاليًّا حسب الأحوال والاحتياجات.

ولم تبدأ الصلوات في اليهودية بشكلها الحالي إلا بعد تدمير المعبد والسبي البابلي ، وبعد أن بطلت التقدمات والقرابين حيث بدأت العبادة الروحية بالصلوات .

والصلاة في اليهودية قسمان : فردية ، وجماعية ، الفردية تتلي حسب الاحتياج والظرف الخاص بها مثل صلاة إبراهيم – عليه السلام – لأجل خلاص سدوم وصلاة موسي (عليه السلام) لأجل بني إسرائيل وغيرها .

أما الصلاة الجماعية فهي التي تؤدي في أماكن مخصوصة ومواعيد محددة.

ولم توضع الصلوات الطقسية إلا بعد تأسيس أماكن العبادة كخيمة الاجتماع والهيكل وفي عهد الأنبياء المتأخرين حيث وضعت صلوات قانونية محددة بتوقيتات مثل ما ورد في دانيال وتحددت بثلاث مرات كل يوم [٢] .

وقد ورد في المشنا فى ماسيخيت براخوت (فصل البركات) ٣ /٣ أن الصلاة في اليهودية فريضة علي النساء والرجال فكانوا يصلون جلوساً ووقوفاً ويركعون ويسجدون ويحرصون علي وضع الأيادي علي صدورهم مع حني الرأس قليلاً احتراماً للصلاة وتوقيراً لها ، ويقرأ لهم الصلاة الحزان (ويوازي الإمام) بصوت مرتفع [٣] .

وواضع الصلاة فى اليهودية بعد دمار الهيكل الأول هو عزرا الذي جمع رجال الكنيسة الكبري وقاموا بوضعها وهي التي تتبع حتى الآن ([٤]) .

---

(1) ליסק. רבקה שפק (ד"ר).לקחים הסטוריים .

(2) جاء فى نص دانيال : فلما علم دانيال بإمضاء الكتابة ذهب الى بيته و كواه مفتوحة في عليته نحو أورشليم فجثا على ركبتيه ثلاث مرات في اليوم و صلى و حمد قدام إلهه كما كان يفعل قبل ذلك ، دانيال ٦/١٠ . و ظاظا ، مرجع سابق ، ص١٤٣ .

(3) المرجع نفسه ، ص ١٤٤ .

(4) نفسه ، ص١٤٥ .

أما المتنصرون فقد حرصوا على إقامة الصلاة الجماعية (מנין) فى معبدهم السرى بشكل صارم، وحتى يتم إخفاء الدعوة للمصلين لاجتماع الصلاة ، كان يتم إرسال عبد يرتدي لباسًا أحمر ، يقوم بالدق على دف كإشارة للمتنصرين أن يجتمعوا ويذهبوا من جميع الشوارع والطرقات إلى المعبد لحضور اجتماع الصلاة ، كما اعتادوا الصوم ، وتلاوة التوراة في جماعات ؛ ونظرًا لأن نسخ التوراة كانت قليلة ونادرة ، فقد استخدم المتنصرون أناشيد ومزامير سفر المزامير الدومينيكاني[1] .

أيضًا كان المتنصرون يقيمون صلواتهم باللغتين الإسبانية والبرتغالية ، ويتلونها بعبارات عبرية مثل : "اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا إله واحد" ،وهى آية التوحيد عندهم وتدخل فى صلاة الشماع التى هى القسم الأساسي من أقسام الصلاة في اليهودية المأخوذ من سفر التثنية ٦ / ٤ الذى يبدأ بآية التوحيد ، ثم محبة الله وحفظ وصاياه وتعليمها للأبناء ، مع وجوب التكلم عنها دائماً وربطها علي الأيدي ، وتكون عصابة بين الأعين ، وتكتب علي قوائم الأبواب (المزوزاه)[2].

وتلي الشماع في الأهمية صلاة الثماني عشرة بركة وتسمي "شمونه عسرية" وهي التي وضعها عزرا ورجال الكنيسة وهي عبارة عن تسابيح وطلبات وتوسلات وشكر [3] .

والصلوات الواجبة فى اليهودية ثلاث في كل يوم :

١ ــ شحاريت (الفجر) ووقتها منذ أن يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأزرق إلي ارتفاع عمود النهار.

٢ ــ منحه (القيلولة) ووقتها منذ انحراف الشمس إلي ما قبل الغروب وهي العصر.

---

(1) الدومينيكان طريقة في الرهبنة المسيحية أسسها الراهب دومينيكوس في القرون الوسطى .

(2) المزوزاه : ورقة بها مجموعة من الفقرات من العهد القديم يقرؤها اليهودي تبركًا حين مغادرته منزله وتعلق على الباب האינציקלופדיה היהודית "דעת" ערך מזוזה . وتعنى لافتة على الباب أو عضادة الباب ، وهى بمثابة رقية تعلق على أبواب البيوت اليهودية ، وهى عبارة عن صندوق صغير من الخشب أو المعدن أو الزجاج بداخله قطعة من رق (جلد حيوان) مكتوب عليها شهادة التوحيد اليهودية (الشماع) وهو ما ورد فى التثنية ٦/٤–٨ والفقرات الواردة فى التثنية أيضًا ٣/٧–١٨ وهى ترمز إلى تذكرة بنى إسرائيل بتنفيذ وصايا الرب . الشامى ، رشاد ، الرموز الدينية ، مرجع سابق ، ص٧٩ – ٨١ .

(3) ظاظا ، مرجع سابق ، ص١٤٧ .

٣ ــ عربيت (المساء) ووقتها من غروب الشمس حتى يتم الظلام (العشاء).

وطقوس الصلاة في اليهودية تبدأ بالوضوء بغسل الأيدي فقط ثم يوضع شال صغير علي الكتفين أما صلاة الجماعة فيستخدم فيها شال كبير يتكون من ثمانية أهداب من الخيط أربعة من اللون الأبيض وأربعة زرقاء والأبيض والأزرق يرمزان إلي التعرف علي طلوع الفجر(١).

وهذا الشال يلبسه اليهودي بعد بلوغه سن التكليف وهو ثلاث عشر سنه وعند موته يكفن فيه . وتغطية الرأس في الصلاة واجبة في الصلاة اليهودية احتراماً وتوقيراً ، ويضع المصلى في وسط جبهته التفلين وأخري علي الكف اليسري وترمز إلي الاهتداء بكلمات الالة المقدسة(٢) .

وكان قلة من المتنصرين يعرفون الكلمات العبرية الخاصة بالصلاة مثل طاليت "טלית"(٣) وأيضا كانت قلة من المتنصرين يعرفون صلاة الثمانية عشر ، شمونه عسريه "שמונה עשרה"(٤).

ولم يكن المتنصرون يفصلون بين النساء والرجال في الصلاة ، واعتادوا أن يصلوا صلاة الشماع فى معبدهم السرى مع رفع أذرعهم أو ضمها لصدورهم ــ كما فى اليهودية ــ كذلك اعتادوا أن يغطوا عيونهم بأيديهم اليسرى ، ووضع اليد اليمنى على القلب ، ويوجهون صلواقمم إلى القدس .

---

(1) ظاظا ، مرجع سابق ، ص١٥٢ .

(2) المرجع نفسه ، ص١٥٣ .

(3) شال الصلاة "طاليت" : ثوب يرتديه اليهود من الأرثوذكس والمحافظين ويعنى (شالاً أو عباءة أو رداء) ويرتديه اليهود أثناء الصلاة فوق ملابسهم ، وهو من الملابس الضرورية لرجال الدين ، ولا يصلح إلا باكتمال أهدابه تحقيقاً لوصية التوراة بصنع أهداب فى أذيال ثياب بنى إسرائيل ؛ لتكون علامة تذكرهم بوصايا الرب وشرائعه (سفر ، العدد ١٥/٣٧ – ٤١) وللطاليت أحكام فى الطهارة ، اهمها أنه لا تلمسه النساء ويخصص له مكان معين فى المنزل ، وقبل ارتدائه ينبغى على اليهودى أن يتلو : "مبارك أنت أيها الرب إلهنا ملك العالم الذى قدسنا بوصاياه وأمرنا أن نتدثر بالأهداب" رشاد الشامى، الرموز الدينية اليهودية ، مرجع سابق، ص٥٩ – ٦٤ و האיציקלופדהי היהודית דעת .

(4) البركات الثمانى عشرة : " أهم قسم في الصلاة بعد الشماع ، وضعها عزرا ، وورد أكثر ألفاظها وعباراتها فى الكتاب المقدس وبعضها فى المشنا وهى مقسمة إلى ثلاثة أقسام : تسابيح – توسلات – تشكرات . ظاظا : مرجع سابق ، ص١٤٦ – ١٥٠ .

وأيضًا من وسائلهم فى إخفاء شعائرهم أنهم كانوا يعلقون المزوزاه على الباب الداخلي بمنازلهم على عكس ما يتم في العقيدة اليهودية بتعليقها خارج المترل [١] .

محافظة المارانوس على شرائع الطعام فى اليهودية :

حافظ اليهود المتنصرون على الشرائع اليهودية الخاصة بالطعام כשרות بتطبيق عادات الذبح حسب قوانين الشريعة اليهودية שחיטה כשרה ؛ وكان للمارانوس جزارين يذبحون لهم اللحم ويوزعونه سرا [٢] .

وكان لهم سكين مخصص للذبح ، ويعلقون الحيوان من قدميه بعد ذبحه ، لكي يخرج منه الدم طبقا للشريعة اليهودية ، ويقومون بتمليح اللحم المذبوح ، وطبقـًا للشريعة اليهودية حرص المارانوس على عدم تناول السمك الأملس [٣] ، ولم يستخدموا زيتاً مستخرجاً من الحيوانات لطهى أطعمتهم، وإنما يستخدمون فقط زيت الزيتون، وذلك لأن الشريعة اليهودية تحرم طهى اللحوم بزيوت حيوانية بل يستخدمون زيوتـًا نباتية [٤] ولم يكن للمارانوس أوان خاصة لفصل الأطعمة المستمدة من اللبن ومشتقاته عن الأطعمة الخاصة باللحم [٥] . لكنهم لم يدخلوا الأطعمة المعتمدة على لحم الخنزير إلى بيتهم طبقًا لتحريمه فى اليهودية ، وقد اكتشفت المحاكم التفتيشية ذلك، وكان هذا الأمر أحد الدواعى لإطلاق لفظ المارانوس اليهود أى الخنازير عليهم[٦] .

ويذكر أنه كان يوجد فى عدد من الكاتدرائيات فى العصور الوسطى رسم لصورة مجسمة لخنزيرة تدعى الخنزيرة اليهودية وتحت الرسم شرح مكتوب عليه :

---

(1) בירנבוים אליהו. יהודי עולמי . תנועת התשובה של הקצין הפורטוגזי www.makorrishon.co.i ٧-٤-٢٠٠٧ .

(2) كاسترو أميركو ، مرجع سابق ، ص٢٥٩ .

(3) ظاظا ، مرجع سابق ، ص١٩٧ .

(4) المرجع نفسه ، ص١٩٨، وورد فى سفر اللاويين ١٧ / ١٢ [لا تأكل نفس منكم دما] ولأجل تطبيق هذه الشريعة كانوا يقومون بتمليح اللحم حتى يتأكدوا من خروج الدم منه .

(5) طبقـًا للشريعة اليهودية يحرم على اليهودي أن يخصص أواني واحدة لأطعمة اللبن واللحوم، بل يجب عليه أن يجعل لكل منهما أواني طعام خاصة بكل منهما ، وهذا يتضح من الفقرة الواردة في العهد القديم والتي تقول : [لا تطبخ جديًا بلبن أمه] سفر التثنية ٢١/١٤.

(6) ליסק. רבקה שפק (ד"ר).לקחים הסטוריים

" كما أن الفأر لا يمكن أن يأكل السفور ، كذلك لا يمكن لأى يهودى أن يصبح مسيحيًا حقًا" وكان هذا الرسم منتشرًا فى كثير من الكنائس الالمانية والسويسرية [١] .

إجراءات الزواج נשואים :

كانت الأمهات والجدات فى الأسر المتنصرة ، هن المسئولات عن تنظيم أمور الزواج ، وكان المتنصرون يحرصون على الزواج فيما بينهم من داخل الأسرة ، حفاظًا على سرية الديانة بينهم بعيدًا عن المسيحيين ،وفى الوقت نفسه اتباعاً للشريعة اليهودية التى تحرم الزواج من الجوييم (الأغيار) .

وقد ظل المارانوس طوال سنوات عديدة على اتصال مباشر بنظرائهم فى مختلف أرجاء العالم مثل إيطاليا ومناطق أخرى في أوروبا ، وأيضًا فى الدولة العثمانية ، وذلك من أجل التزود بزيجات للمتنصرين في العالم المسيحي ، وتذكر وثائق محاكم التفتيش أنه كان جزء كبير من هؤلاء الأزواج تجرى له عملية الختان ، وفى ليلة الزفاف لم يكن معتادًا إقامة علاقة جنسية حتى تتطهر العروس من دماء العذرية طبقًا للشريعة اليهودية [٢] .

عادات الدفن والعزاء מנהגי קבורה ואבלות :

مارس المتنصرون عادات الدفن والعزاء كما هو متبع فى اليهودية ، ومنها أنه عندما يموت المتنصر اليهودي فكان يتم توجيه وجهه ناحية الحائط ، ويتم غسله بمياه دافئة ، ويتم تغطيته بقماش. وكان هذا القماش يتم استيراده من فرنسا وهولندا ، ويتم نسجه في مصانع تابعة لأشخاص من أصل يهودي .

وكانت عادة تمزيق القماش – حزنًا على الميت – شائعة بين المتنصرين اليهود ، وبعد دفن الميت كانوا يتناولون بيضًا مسلوقًا جامدًا بلا ملح ، و يرمز إلى دورة الحياة ، أما عدم وجود ملح في الطعام فيرمز إلى التأكيد على مرارة فقدان الميت ــ وهى من التقاليد اليهودية ــ كما اعتاد المتنصرون القيام بما يسمى بطقس الـ "שבעה" أو الحداد سبعة أيام على روح الميت – وهو أيضًا تقليد يهودى ــ وطوال تلك الأيام السبعة كانوا يقلبون الصور تجاه الحائط، ويفرغون أواني المياه لإخراج الأرواح الشريرة، وعلى مدى السبعة أيام يتناول

---

(1) برنز : يواكيم ، مرجع سابق ، ص٤٦ .

(2) برنز : يواكيم ، مرجع سابق ، ص ٤٦ .

الأقارب والأصدقاء الطعام مع بعضهم البعض، ويتلون قداس الترحم أو ما يعرف بالـــــ "קדיש" ثلاث مرات في اليوم طوال ١١ شهرًا وذلك أثناء صلاة الجماعة [١] .

ممارسة المارانوس للأعياد اليهودية :

عيد الغفران أو الكيبور יום כפור :

يوم الغفران أو الكفارة هو العاشر من شهر تشري (أكتوبر) وهو يوم صيام ليلاً ونهـــاراً وهو يوم حساب النفس علي ما بدر منها من خطايا ويمثل هذا اليوم ذكرى دخول بختنصر أورشليم وتدميرها سنه ٥٨٦ لذا فهو أكبر أيام الحداد عندهم ، وفى هذا اليوم يعلن فيـــه اليهود نقضهم للعهود والمواثيق التي قطعوها لغير اليهود ، ويجوز فيه أكل الديون التي علي اليهودي والرجوع عن كل وعد [٢] .

وكان المتنصرون يصومون في ذلك العيد ، و يسمى عندهم يوم الصوم الكبير ، حيـــث اعتادوا في ليلته أن يطلبوا الغفران والسماح من أفراد العائلة والأصدقاء اليهود لغفران أي خطيئة حدثت خلال العام ، وكانوا يعدون وجبة الصوم "סעודה מפסקת" وتتكون من أسماك وخضراوات ، وبعدها يبدأون الصوم أما والدة الأسرة المتنصرة أو الجدة فكانت تقوم بالدعاء لهم ومباركتهم فيتم مباركة الأبناء بأن يكونوا مثل "أفراهام" و"إسحق" و"يعقوب"، أما الفتيات فتتم مباركتهن بأن يصبحن مثل "سارة" و"رفقة" و"ليئة" ، وقد اعتاد اليهـــود المتنصرون إقامة صلاة هذا العيد في المعبد السري ؛ حتى لا يتم الاشتباه فـــيهم ويقيمـــون شعائر الصوم والصلاة من أجل الغفـــران **צומות ותפילות לבקשת מחילה** . كمـــا اعتادوا أن يبدأوا الصيام في الظهر ، ثم يخرج المصلون للتتره في المدينة [٣] .

---

(1) ליסק. רבקה שפק (ד"ר).לקחים הסטוריים فيما يختص بعادات وتقاليد اليهودى فى مراسم الـــدفن والجنازات نذكر أنه بعد تشييع الجنازة تقام فترة للعزاء باسم "شيفع" ومعناها سبعة أيام لاستقبال وفود المعزين ، أما العادات التى يتمسك بها اليهود فى أيام الحداد فهى نوع من الخرافة أخذت طريقها للزوال فى العهد الحديث. الشامى : رشاد ، جولة فى الدين والتقاليد اليهودية ، مكتبة سعيد رأفت ، القاهرة ، ١٩٧٧م ، ص٤٤ ، ٤٥.

(2) ظاظا ، مرجع سابق ، ص١٦٩ .

(3) ליסק. רבקה שפק (ד"ר).לקחים הסטוריים عيد الغفران عند اليهود هو أقدس وأهم الأعياد ويأتى فى اليوم العاشر من الشهر السابع Tishri من التقويم اليهودى الذي ينقسم إلي اثنى عشر شهرا هي :

عيد الفصح פסח :

هو عيد الضحية عندهم حيث يقدم فيه حمل أو شاه أو جدى ويرتبط هذا العيد بعجينة الفطير المفروضة فيه ، وهذا العيد يلتصق بالتهمة التى توجه إلى اليهود والمعروفة بتهمة الدم وخلاصتها أن خبز الفطير المفروض على اليهود تناوله فى فصحهم قد جــرت العــادة أن يدخلوا فى عجينته دمًا بشريًا يأخذونه من ضحية يقتلونها من أمة أخــرى غــير اليهــود ، ويستحسن أن تكون الضحية من المسيحيين أو المسلمين . والظاهر أن هذه التهمــة الــتى يوصم بها اليهود بدأت من عهد مبكر فى التاريخ ، ويبدو أنها جلبت على أماكن التجمــع اليهودى فى الشرق والغرب مشاكل كثيرة ، فقد كان الحى الذى يسكنون فيــه يهــاجم ، وينتشر فيه القتل والتنكيل بمجرد اختفاء طفل أو شخص من مجتمع غير يهودى مجــاور فى فترة عيد الفصح . وقد جاء فى المرسوم البابوى الذى أصدره البابا أنوسنت الرابع من بابــا الفاتيكان فى الخامس والعشرين من سبتمبر سنة ١٢٥٣والخاص بهذا العيد:

"إننا نحرم اتهام اليهود باستعمال الدم البشرى فى طقوسهم ، لأنهم مأمورون فى العهــد القديم بألا ينجسوا أنفسهم بأى دم على وجه العموم ، فضلاً عن الدم البــشرى" . إلا أن هذه التهمة ظلت لاصقة باليهود . [١]

وقد اعتاد اليهود المتنصرون فى عيد الفصح ، شراء أوان جديدة ، ولم يكن هذا الأمــر يثير الشك ؛ وذلك لأن الأواني التي كانوا يستخدمونها كانت من الفخــار الــتى يــسهل تحطيمها عند إفتضاح أمرهم، وقد اعتادت النساء أن يخبزن الفطائر الفــصحية بأنفــسهن،

(تشري "תשרי"– حشفان"חשון" – كيــسلو"כסלו"– طيبــت" טבת"–شــفاط "שבט" أذار"אדר"– نيــسان"ניסן" – آيــار"אייר"– ســيفان"סיון"– تمــوز"תמוז"– آب "אב" أيلــول "אלול") **האינציקלופדיה היהודית (דעת) ערך לוח השנה העברית** ٢٥-١-٢٠٠٧وكلمة كيبور **כפור** من أصل بابلي ومعناها "يطهر" ويوم الغفران هو يوم صوم لا يعمل فيه أحد إلا العبادة وهو اليوم الذي يندم فيه اليهودي على الذنوب والخطايا بالتكفير عنها بالصوم والصلاة والذبائح والأموال ورد المظالم لأهلها . وبحــسب التراث الحاخامي، فإن يوم الغفران هو اليوم الذي نزل فيه موسى من سيناء، للمرة الثانية، ومعه لوحا الــشريعة حيث أعلن أن الرب غفر لهم خطيئتهم في عبادة العجل الذهبي وهو يوم يعلن فيه اليهود نقضهم للعهود الــتى قطعوها لغير اليهود . (ظاظا، مرجع سابق، ص١٦٨، ١٦٩) .

(1) ظاظا ، مرجع سابق ، ص١٨٥ .

ويقرأون الترجمة اللاتينية للعهد القديم ، والخاصة بالجزء المتعلق بخروج بني إسرائيل من مصر، ويرتدي الشخص الذي يدير الطقس ملابس بيضاء ، ويستمر العيد لمدة من سبعة إلى ثمانية أيام [١] .

غير ان اكتشاف المسيحى لأى مظهر من مظاهر عيد الفصح يقوم به اليهودى كان يعرضه لعقاب شديد ؛ لذا كان اهتمام اليهودى بأداء هذا الطقس بسرية شديدة وتكتم حتى لأقرب الناس إليه .

ومن الحكايات التى تعكس الممارسات السرية للمتنصرين اليهود ووسائلهم في التخفي فى احتفالهم بالأعياد اليهودية ، وتؤكدها الشهادات التاريخية الخاصة باعترافات محاكم التفتيش المسيحية قصة أسرة يهودية تنصرت ظاهريًا بينما كانت تقيم شعائر اليهودية سرًّا حيث أرادت هذه الأسرة أداء شعائر عيد الفصح فتحكى القصة :

" ان إحدى عائلات المتنصرين أرادت الاحتفال بشعائر عيد الفصح حيث نزلت إلى مخزن مظلم متفرع من منزلهم لتأدية شعائر هذا العيد فى خفية ، بينما كان طفلهم الصغير برفقة بعض الخادمات المسيحيات – الذين كانوا لا يعلمون أن والديه من أصل يهودي – وفي المساء بدأ الطفل يبكي بشدة لمرضه ، ولم تستطع الخادمات أن تفعل له شيئًا ؛ فقاموا باستدعاء طبيب ، لكنه لم يستطع مداواة الطفل؛ فانتابت الخادمات حالة من الخوف على الطفل من الموت ، فقاموا باستدعاء الكاهن المسيحي لعلاجه ، وعند وصوله اندهش الكاهن، وتساءل: ترى أين ذهب والدا الطفل؟ فبدأ يدلف من حجرة لأخرى، وهو يذكر بعض أدعية الصلاة ، وحينما وصل إلى أقصى المنزل ، أثار انتباهه صوت أشعار موسيقية

---

(1) ליסק. רבקה שפק (ד"ר).לקחים הסטוריים يقع عيد الفصح في الخامس عشر من شهر نيسان ، ويستمر سبعة أيام هو عيد الربيع عند اليهود ، ويحرم العمل في اليومين الأول والأخير ، وتقام الاحتفالات طوال الأيام السبعة ، أما الأيام الأربعة الوسطي فيلتزم فيها بتناول خبز الفطير دون أن يقترن ذلك بطقوس احتفالية كبرى ، والعيد في أصوله البعيدة موصول بموسم الربيع باعتباره فترة نمو وازدهار وحياة جديدة ، ثم صار من بعد يرمز إلى خلاص بني إسرائيل من العبودية في مصر وخروجهم منها بقيادة موسى ، وهارون ويوشع ، ظاظا ، ص١٨١ ، ١٨٢ ، وقد اقترن هذا العيد بتهمة الدم التى توجه لليهود حيث جرت العادة أن يدخلوا فى عجينة الفطير دمًا بشريًا من أمم أخرى غير اليهود وهى تهمة تلاحق اليهود كل وقت ومكان (ظاظا ، مرجع سابق ، ص١٨٥ – ١٨٨) .

هادئة ؛ فأخذ يتحسس الحوائط حتى قادته يده للمدخل السري، وحينما رأى المتنصرون المجتمعون الكاهن واقفاً على عتبة الباب السري، انتابهم الذعر خوفاً من العقاب ؛ فقرروا قتله، حينئذ أخذ الكاهن يوجه إليهم بسمة ترحاب حيث أخبرهم أنه مثلهم يهودي متنصر، وأن الخادمات أفزعوه أثناء أدائه شعائر ليلة الفصح .

ويبدو أن هذه القصة هي قصة حسيدية ، تنتمي للنوع الأدبي من القصص التي تعتمد على الإثارة ، والتى تنتهي بنهاية سعيدة عندما يتضح أن العدو اللدود ما هو إلا أوفى الأوفياء . والهدف منها إيصال رسالة أخلاقية ، باستخدام أحداث ووقائع محاكم التفتيش كخلفية تنسج عليها القصة، والدرس الأخلاقي الذي تهدف إليه القصة هو: " بالرغم من أن الاضطهاد قد يرغم اليهودي على ترك عقيدته ظاهريًا ، إلا أن قوة ما داخل اليهودي ، تجعله يحافظ على إيمانه في قلبه " [١] .

ويبدو من القصة أيضًا مهارة اليهود فى التخفى وكتم الأسرار حتى ان العاملين بالمنزل لم يكونوا يعرفون حقيقتهم اليهودية .

عيد البوريم פורים :

عيد البوريم يسمي عيد المساخر وفيه يسرفون في شرب الخمر ويلبسون الأقنعة وهو احتفال بمناسبه العودة من السبي البابلي في القرن الخامس الميلادي ويرتبط بقصة إستير التى سبق التحدث عنها .

ولم يعتبر المتنصرون "عيد البوريم" مناسبة سعيدة في العالم المسيحي الذي عاشوا وسطه ؛ وكما سبق القول فإن المتنصرون اليهود كانوا يشعرون بتطابق حالهم وبين القصة المقرائية المتعلقة بإستير ومردخاي ويهود فارس الذين عانوا من اضطهاد الوزير هامان الفارسي ، فملك فارس لم يكن يعرف أن إستير يهودية ، وقد صامت إستير ثلاثة أيام قبل أن تتوجه للملك بتوسلات من أجل إنقاذ اليهود [٢] فكان المتنصرون يصومون فى هذه المناسبة ثلاثة أيام مثل صيام إستير ، ويستخدمون النسخة اللاتينية من سفر إستير لتلاوته فى التاسع من

(1) he.wikipedia.org/wiki/ . אנוסים

(2) ליסק. רבקה שפק (ד"ר).לקחים הסטוריים

آب (أغسطس) "תשעה באב" (١) كما اعتاد المتنصرون صيام ذكرى خـراب الهيكـل الأول والثاني ، ويمتنعون عن تناول اللحم والطيور طوال ثلاثة أسابيع قبل الصوم (٢) .

عيد المظال סוכות :

عيد المظال أو الظلل ، عيد زراعى يحتفل فيه اليهود بتخزين المحصولات الزراعية الغذائية للسنة كلها ، ومدته تسعة أيام ، والتقليد فى هذا العيد أنهم يقيمون فى أكواخ مصنوعة من أغصان الشجر ، وفى اليوم السابع فيه يصلون صلاة استسقاء عند تـأخر المطـر؛ حيـث يدخلون المعبد وفى يد كل واحد منهم غصن يضربون به على الكراسى؛ فتتساقط أوراقـه ويعتقدون أنه مع سقوط الاوراق تسقط عنهم ذنوبهم التى ارتكبوها فى العام كله .

واليهود المقيمون فى أوربا وأمريكا يكتفون بعمل مظلة من السعف تنـصب فى إحـدى الشرفات بالمسكن يتناولون فيه وجبات الطعام فقط ولا يقيمونها فى الهواء الطلق نظرًا لشدة البرودة فى هذه الأماكن . وبالنسبة للمارانوس فقد توقفوا عن الاحتفال بهذا العيد خوفـًا من أن يكشف المسيحيون هويتهم الحقيقية كيهود إذا ما أقـاموا فى أكـواخ واسـتخدموا السعف فيها حسب التقليد اليهودى (٣) .

---

(1) صيام التاسع من آب هو ذكرى سقوط أورشليم في يد تيتوس القائد الروماني وتخريب الهيكل الثاني الذي كان قد أقيم بعد العودة من السبي البابلي في القرن الخامس قبل الميلاد على يد نحميا وعزرا وزروبابـل . (ظاظـا ، حسن : مرجع سابق ، ص١٩٠) .

(2) ליסק. רבקה שפק (ד"ר).לקחים הסטוריים "بوريم" פורים .

(3) ליסק. רבקה שפק (ד"ר).לקחים הסטוריים عيد زراعى يحتفل فيه بتخزين المحصولات الزراعية ، يبدأ هذا العيد في الخامس عشر من الشهر السابع Tishri ، بعد عيد الغفران بخمسة أيام ، و يستمر تـسعة أيـام . وعيد المظال ترجمة لكلمة "سوكوت" العبرية وتعني المظال ، وقد سمى هذا العيد على مدى التاريخ بعدة أسماء من بينها "عيد السلام" و"عيد البهجة"، ومدته سبعة أيام ، والمناسبة التاريخية لهذا العيد هي إحيـاء ذكـرى خيمـة السعف التي آوت العبرانيين في العراء أثناء الخروج من مصر، وكان هذا العيد في الأصل عيدًا زراعيًا للحصاد ، وكان يحتفل فيه بتخزين المحاصيل الزراعية الغذائية للسنة كلها ؛ ولذا فإنه يسمى بالعبرية "حج ها آسـيف" أي "عيد الحصاد". موسوعة ويكيبيديا، وظاظا ، مرجع سابق، ص١٧٠ .

عيد رأس السنة ראש השנה :

عيد رأس السنة العبرية يسمي " روش هشانا" ويمتد ثلاثة أيام واليوم الرابع يوم صيام[١].
ولم يحرص اليهود المتنصرون على الاحتفال بهذا العيد خوفـًا من افتضاح أمرهم[٢].

الحانوكاه חנוכה :

مارس اليهود المتنصرون الاحتفال بعيد الحانوكاه بإشعال الشموع طيلة ثمانية أيام طبقـا للتقليد اليهودى فيه ، ويحتفل اليهود بهذا العيد تخليدًا لذكرى انتصار المكابيين ، وتطهـير الهيكل من رموز الديانات الأخرى غير اليهودية [٣] .

هذا وقد ظل المارانوس اليهود يتبعون دينهم الموسوى سرًّا ويمارسون شعائرهم اليهودية فى الخفاء وفى الوقت نفسه يظهرون الإخلاص للمسيحية ويؤدون الشعائر المسيحية .

وعلى الرغم من محاولات بعض المتنصرين المحافظة على أداء الشعائر اليهودية بأسـاليب ووسائل خفية إلا أنه مع طول مدة تخفيهم وسط مجتمع خارج عن دينهم تماماً ، بل معاديًا له فقد كان لهذا الأمر أثره العميق على عقيدتهم نفسها، حيث اختفت شعائر يهودية مهمـة، مثل : الختان ، والذبح الشرعي ، واستخدام شال الصلاة "الطاليت" " טלית" ، وكذلك اختفت كثير من الأعياد واكتسبت الشعائر ملامح جديدة ابتعدت بهم تماماً عـن دينـهم الأصلي إلا من بعض المتنصرين كبار السن كانوا يحافظون على أداء الشعائر .

وقد كان هناك عنصران رئيسيان أديا إلى تدهور أحوال الطائفـة السـرية المارانوسـية وانحلالها في النهاية :

---

(1) ظاظا ، مرجع سابق ، ص١٦٨ .

(2)ליסק. רבקה שפק (ד"ר).לקחים הסטוריים وهواليوم الأول والثانى من الـشهر الـسابع (أكتـوبر Tishri) من التقويم اليهودى، وهو يوم صيام وحزن وحداد على الأسر البابلى ، (ظاظـا ، مرجـع سـابق ، ص١٦٨) .

(3) ליסק. רבקה שפק (ד"ר).לקחים הסטוריים والحانوكـاه هـو عيـد التدشـين: (Hanukkah Chanukkah) والمناسبة التاريخية لهذا العيد هي دخول يهودا الحشموني (أو المكابي) القدس وإعادتـه للـشعائر اليهودية في الهيكل ، من هنا كانت تسميته بعيد التدشين. ويبدأ فى اليوم الخامس والعشرين من الـشهر التاسـع Kislev ويستمر ثمان أيام ولياليهم ، والطابع المميز للاحتفال بهذا العيد هو إشعال الشموع لمدة أسبوع كامل ، وفى هذا العيد كثير من اليهود يكتبون أشعارًا للتعبير عن الجهاد والشجاعة ، ظاظا ، مرجع سابق ، ص١٧٢ .

العنصر الأول : هو نقص الربانيين وعارفي الشريعة والعقيدة والمعلمين اليهود حيث نتج عن هذا قطع الصلات الدينية بين المتنصرين واليهود .

أما العنصر الثاني : فكان ازدياد نسبة الزواج المختلط بين اليهود المتنصرين والمسيحيين، الأمر الذى أدى إلى ضعف الصلة باليهودية نفسها (١)

ولأجل كشف محاكم التفتيش لوسائل تخفي المارانوس اليهود كانت تطالب الذين عادوا ليهوديتهم أن يقدموا اعترافـًا كي ينقذوا أنفسهم وثرواتهم ، وعندما يعترفـون ، كـانوا يجبرونهم على إظهار أسماء إخوانهم المتنصرين، وتقديم دليل على أنهم ما زالوا يهودًا ، وكانت تلك الاعترافات تتم داخل غرف التعذيب التابعة لمحاكم التفتيش في القرون الوسطى (٢) .

وسائل محاكم التفتيش فى كشف تخفى المتنصرين :

استطاعت الكنيسة طبقا لشهادات المعترفين بإخوانهم المتهودين أن تنشر ٣٢ بندًا يمكن من خلاله التعرف على المتنصرين الذي عادوا ليهوديتهم وكانت كالتالي:

١- إذا قام بتقديس يوم السبت .

٢- إذا غير ثيابه يوم السبت بثياب جديدة وقمصان نظيفة.

٣- إذا قام بتغطية المائدة بغطاء يوم السبت .

٤- إذا لم يشعل نيراناً يوم السبت .

٥- إذا تناول وجبة السبت و المسماة " الدفينة" أو "السخينة" חמין .

٦- إذا توقف عن ممارسة عمله يوم السبت .

٧- إذا تناول لحمًا أيام الصيام المسيحي .

٨- إذا صام في عيد الغفران .

٩- إذا خرج في يوم الغفران بصندل أو جورب أو حتى حافيًا .

١٠- إذا طلب يوم السبت من أخيه الصفح والمغفرة .

١١- إذا احتفل بعيد الفصح متناولاً البقول والفطير.

(1) כהנוב עזר (ד"ר) המכללה האכדמית אחבה .מעוף ומעשה .חוברת ١٩٩٦,٥ אנוסים ושבתאים האופציה שך דתיות כריזמטית. web.macam.ac.il ٣٠-٣-٢٠٠٧ .

(2) האינציקלופדיה היהודית "דעת".

١٢- إذا أقام في مظال في عيد المظال.

١٣- إذا وجد معه في عيد المظال أتروجه "אתרוג" أو شعا نين "לולב"([1]) .

١٤- إذا تزوج عدة نساء كحال شريعة موسى .

١٥- إذا دعا نفسه باسم إسرائيلي .

١٦- إذا قام بختان أبنائه .

١٧- إذا اغتسل في اليوم السابع من مولده ، وهذا ما يفعله اليهود في ذلك اليوم ففي الليلة السابعة بعد الولادة كانوا يملأون الأواني بالماء ، ويلقون فيها قطعًا ذهبية وفضية ولؤلؤاً وأحجارًا كريمة، يغسلون به الوليد .

١٨- إذا فرش رغيف الخبز العجين قبل خبزه .

١٩- إذا بارك الكأس في وجبته ومرره على كل الموجودين .

٢٠- إذا غسل يديه قبل الصلاة .

٢١- إذا بارك قبل ذبح حيوان أو طير.

٢٢- إذا غطى دم الذبيحة من الحيوان أو الطير بالتراب .

٢٣- إذا أزال العروق من لحم الجديان .

٢٤- إذا قام بتمليح اللحم لإخراج الدم منه .

٢٥- إذا لم يأكل الخنزير أو الأرنبة .

٢٦- إذا غسل الوليد بالماء بعد دخوله في العهد المسيحي .

٢٧- إذا سمى أبناءه بأسماء العهد القديم .

٢٨- إذا بارك أبناءه بوضع اليد عليهم .

٢٩- إذا لم تزر النساء اللاتي ولدن المعابد إلا بعد أربعين يومًا من طهارتهم .

٣٠- إذا قام بإراحة المحتضر تجاه الحائط .

٣١- إذا قام بغسل جسمه بالمياه الدافئة .

---

(1) الشعانين بالعبرية לולב سعف النخيل نوع من الأنواع الأربعة من النباتات التي يجب أن تكون مع اليهودي في عيد المظال، والاتروج ، وهو نوع من الليمون ، وكذلك الريحان הדס والصفصاف ערבה .
www.daat.ac.il/encyclopedia/value.asp (موسوعة دعت اليهودية) .

٣٢- إذا لم يضف بعد قراءة تراتيل الصلاة عبارة "باسم الآب والابن والروح القدس" – كما بالمسيحية – وبمرور الوقت أضيف علي تلك القواعد فقرات إضافية(١) .

وكان من حق المتهم أن يتوب ويعترف بدخوله المسيحية في مدة لا تتجاوز الأربعين يوماً وهذا الاعتراف لابد وأن يكون مكتوباً ، ويشهد عليه شهود "עדים"، وعلى المعترف أن يرد على أسئلة تتعلق بمكان وزمن تهوده ، وكم من الوقت ظل على يهوديته .

أما هؤلاء الذين يعترفون بعد مضى أربعين يومًا ؛ فكان يتم مصادرة ممتلكاتهم أو يتم سجنهم كل حسب درجة ومقدار جرمه .

وبالنسبة للشباب الذين تقل أعمارهم عن سن العشرين، والذين أخبروا أن آباءهم هم الذين فرضوا عليهم الديانة اليهودية ،فكان لا يتم مصادرة ممتلكاتهم ، أما الذين يعترفون بعد صدور الحكم ضدهم ، فيتم قبولهم في الكنيسة المسيحية لكن يحكم عليهم بالسجن للأبد ، أما الذين اعترفوا بكلمات قليلة ، فيتم حرقهم على الموقد . وإذا كان من الصعب إثبات خطيئة أحد المتهمين كانوا يقومون بتعذيبه ، وإذا اعترف عن طريق التعذيب ؛ فإنه يحكم عليه بالموت(٢) .

ومن خلال اعترافات بعض المتنصرين ، اتضح أنه كان هناك داخل هذه الطوائف ربانيون خبراء بشريعة موسى ، يجتمعون كل يوم بعد الظهر لأداء الصلاة ، وجزء من هؤلاء اليهود المتنصرين كانوا مختونين ، وقد تم التعرف عليهم من جانب محاكم التفتيش في مكسيكو سيتي حيث تم إصعادهم على الموقد لإحراقهم في أحد طقوس محاكم الإيمان أو الـ "אוטו דה פה" واتضح أنه كان من بينهم ٥٧ مختوناً (٣) .

ولم يكن يذهب من المارانوس للاعتراف إلاّ قليل ، وكانوا إذا ذهبوا إلى الاعتراف لا يعترفون بتهودهم الباطني . وأثناء زيارتهم للكنيسة يمتنعون عن مشاهدة الخبز المقدس حين يتلقونه ، ويسرعون ببصقه فور خروجهم منها.

---

(1) האינציקלופדיה היהודית "דעת" ערך אינקוויזיציה

(2) האינציקלופדיה היהודית "דעת" ערך אינקוויזיציה.

(3) ליסק. רבקה שפק (ד"ר).לקחים הסטוריים .

ولأجل الخلاص من التعقب المسيحى كان المتنصرون يهربون عن طريق السفن إلى العالم الجديد "الأمريكتين" أو إلى أوروبا إلا أن المحاكم ورجال التفتيش كانوا يتعقبونهم ويكتشفون أمرهم[١] .

(1) ליסק. רבקה שפק (ד"ר).לקחים הסטוריים .

المبحث الثالث

النخب اليهودية بين المعارضة والتأييد

من الأمور المدهشة التى قام بها المتنصرون – حرصًا على ممتلكاتهم ، وحفاظـًا علـى مناصبهم ومكانتهم الاجتماعية فى الدولة ، واستمراراً لمراءاتهم للملوك والنـبلاء ورجـال البلاط المسيحى ، أنهم قاموا بخيانة ذويهم من أبناء ملتهم تقربًا للملـوك ، حيـث قـاموا بتشجيع المذابح التى وقعت عام ١٣٩١ ضد اليهود ، ورأوا فى هذه المذابح ، الانتقام الإلهى من اليهود الذين أهدروا دم المسيح ، وكان على رأس هؤلاء الحاخام اليهودى "سليمان آل ليفى" الذى حول اسمه إلى "باول دى سانتا ماريا " ثم تحول إلى أسقف فى المسيحية ، حيـث طارد إخوانه فى الدين دون هوادة [١] .

كما نجح عدد من المتنصرين اليهود في إقامة علاقات وثيقة مع "المـسيحيين الجـدد" في إسبانيا والبرتغال وإيطاليا وبلجيكا ، وأيضًا مع "اليهود الجدد " أى الأشخاص الذين عادوا إلي عقيدتهم اليهودية في الشمال الغربي لأوروبا ، والإمبراطورية العثمانية ، ونتجت عـن هذه العلاقات صلات تجارية ربطت بين كل هذه الأطراف ، كما تمت بينهم علاقات أسرية ، وعن طريق تلك العلاقات تم تجميع أموال لأغراض مختلفة كفدية للأسرى الذين ينتمـون "للعرق" اليهودي ، والذين تم توقيفهم من قبل قُطّاع الطرق البرابرة ، وكـذلك لتمريـر أموال إلى هولندا لمساعدتها في حربها في إسبانيا ، بالإضـافة لمـساعداتهم لليهـود في أرض فلسطين ، وأيضاً لأجل رشوة رجال السلطة المسيحية ومحاكم التفتيش ، وغيرها [٢] .

وكان ينتسب للمارانوس عدد من الشخصيات اليهودية البارزة وبعـض الحاخامـات اليهود ، منهم من صار عدوًا لأهل دينه وأصوله حفاظًا على ممتلكاته ومصالحه ومنـصبه فى البلاد . ومنهم من كان مؤيدًا لليهودية ومدافعًا عن حقهم فى أداء شعائرهم.

وتظهر تلك الشخصيات مدى تذبذب شخصية هؤلاء المتنصرين بين المسيحية واليهودية، فمنهم من فقد هويته تمامًا تقربًا للمسيحية ، ومنهم المدافع عن دينه وعن اليهود ضد التنصر القسرى .

---

(1) كاسترو ، مرجع سابق ، ص٦٠٥ ، ٦٠٦ .

(2)ליסק. רבקה שפק (ד"ר).לקחים הסטוריים

أولاً : المتنصرون المناهضون "מומרים" لليهود فى إسبانيا والبرتغال :

١. موشى السفرادي " משה ספרדי " : عُـرف باسـم "بيتـروس ألفونـسو" "פיטרוס אלפונסו " وهو أول من قام بتأليف كتب معادية لليهود والمسلمين ، وكـان طبيًا وتحول عن عقيدته اليهودية في عام ١١٠٦(١) .

٢. دونين الروشويلي الفرنسي " דונין מן רושיל בצרפת " : عُرف بعد تنصره باسم "نيقولاس" "ניקולאס" وهو الذى أخبر البابـا غريغـوري التاسـع" גריגורי התשיעי" أن التلمود مليء بفقرات تهاجم المسيح والمسيحية وتستبيح دماءهم – وعلـى إثر هذا تم ملاحقة الربانيين ، والدخول في مناظرات معهم وإحراق كتب التلمود(٢) .

٣. بابلو كريستياني المونتفليري "פאבלו כריסטיאני מן מונטפליר" : اشتهر بمناظرته المعروفة مع موسى بر نحمان المعروف بـ رامبان " הרמב"ן " والتي أجريت عـام ١٢٦٣ ، وكانت مهمة هذا المتنصر اليهودي المراقبة والإشراف على كتابـات الربـانيين، ومحو أي حرف يتعلق بمهاجمة المسيحيين ، كما اشتهر بعلاقته الوطيدة مع البابا "كليمـنس الرابع" والتي كان ينقل فيها وشايات عن اليهود وتلمودهم(٣).

٤. أفنير البورجوشي " אבנר מבורגוש " وهو الذي أخبر الملك ألفونسو الحادي عشر "אלפונסו הי"א " بأن صلاة العميدا اليهودية تحتوي على دعاء يـسمى المينـيم " ברכת המינים " (٤) وهو دعاء اللعنات على الملحدين أو الكفار يتلوها اليهودى كل يوم وقد قام أفنير بمناظرة أجراها مع الربانيين المبعوثين من كل الطوائف اليهودية لأجل حـذف ذلك الدعاء من صلاة العميدا . وقد اشتهر القديس أوغسطين بإقامة صلاة لأجل اليهـود نصها : " أيها الرب العزيز القدير الخالد الذي وسعت رحمته حتى الكفرة والملحـدين مـن اليهود ، اسمع صلواتنا لصالح ذلك الشعب الأعمى ، واجعلهم يهتدون إلى نور الحق الـذي

(1) האינציקלופדיה היהודית "דעת" ערך "מומר בתולדות ישראל"

(2) المرجع نفسه .

(3) האינציקלופדיה היהודית "דעת" ערך "מומר בתולדות ישראל"

(4) هو الدعاء الثانى عشر في صلاة الثماني عشر ، وهي واحدة من الثلاثة عشر دعاء لصلاة الثماني عشر ، وهـي دعوة بالقضاء على أعداء إسرائيل والملحدين. המלון החדש הוצאת קריית ספר ירושלים ١٩٨١ ، מין .

هو المسيح ، دعونا نصلي لمصلحة أولئك الناس من غير المؤمنين (من الغادرين الخونة) اليهود ، وندعو لسيدنا ومخلصنا يسوع أن يرفع الحجاب عن قلوبهم ، حتى يعترفوا بربنا ومخلصنا يسوع المسيح " .

وقد أمر البابا يوحنا الثالث والعشرون بحذف كلمة (الغادرين الخونة) من تلك الصلاة.[١]

٥. يوهان الولدوليدي " יוהן מן ואלאדוליד" : كان مسئولاً عن إجبار كثير من اليهود على دخول المسيحية ، كما قام بتأليف كتب تهاجم اليهود.

٦. شلومو ليفي البورجوشي " שלמה לוי מבורגוש " : ويطلق عليه فى مصادر أخرى "سليمان آل ليفى" من أشهر النماذج المعادية لليهود أبناء دينه من أجل الوصول لأعلى المناصب ، وكان حاخامًا يهوديًا ثم أصبح أسقفًا مسيحيًا ولد فى برغش عام ١٣٥٠م ، وعمل أستاذًا فى اللاهوت فى باريس عام ١٣٩٦ ، وكان كاهنًا قانونيًا فى برغش ، وقسًا خصوصيًا لأنريكى الثالث، وصديقًا مقربًا للبابا بندكتو الثالث عشر، وحظى بمكانة رفيعة عند الملك أنريكى الثالث ، ولأجل الحفاظ على ممتلكاته وصلاته بالملوك ورجال الدولة ، أعلن تنصله من اليهودية علنًا وهاجم اليهود فى كل مكان.. وتلك قدرة قلما تتوفر فى غير اليهودى[٢]. عرف بعد تنصره باسم " باول دي سانتا ماريا "פאול די סאנטא מריא" و كان ضليعًا في التلمود ، ووصل لرتبة كبير أساقفة قرطاجنة ، ومستشار في بلاط الملك هنري الثالث "הנרי השלישי" في قشتالة بعد أن كان حاخامًا يهوديًا واشتهر بمهاجمته للتلمود، وتأليفه حكايات مليئة بالسخرية عن رباني إسبانيا[٣].

وباول دى سانتا ماريا من أبرز الشخصيات التى مثلت تناقضًا واضحًا وازدواجًا بينًا فى طبيعة الشخصية اليهودية والقدرة الفائقة على التلون ، فهو الحاخام اليهودى ، والكاهن المسيحى فى نفس الوقت ، واليهودى المطارد لشعبه ، والمسيحى الموالى للكنيسة ، حيث تحول إلى المسيحية هو وأفراد عائلته – أبناؤه الأربعة وابنته وإخوته الثلاثة وزوجته – فى عام ١٣٩٠ فأصبح كاهنًا مسيحيًا وأسقفاً .

---

(1) برنز يواكيم ، مرجع سابق ، ص ٥٥ .

(2) كاسترو : مرجع سابق ، ص٦٠٦ .

(3) האינציקלופדיה היהודית "דעת" ערך "מומר בתולדות ישראל"

وقد كتب "باول" خطابًا يشرح فيه الأسباب التي أدَّت إلى تنصره، بيَّن فيه أنه حينما يتعمق الإنسان في الشريعة الشفوية والعهد القديم سيجد علامات تدل أن عيسى هو المسيح، بينما كان السبب الحقيقى فى تنصره هو الوصول إلى الدرجات الرفيعة فى القصر الملكى ، والتحكم فى مملكة قشتالة . ويذكره المؤرخ كاسترو إزاء وصفه لهذه الشخصية " أنه الشخصية الكارثة التى تمثل عضو محكمة التفتيش الذى يطارد شعبه" (١) .

ويصف كاسترو موقف باول دى سانتا ماريا الذى اتخذه إزاء يهود إسبانيا بأنه يتسم بالخسة الكاملة مهما كانت التبريرات (٢) . حيث قيل أن ما قام به من أفعال ضد اليهود كانت من أجل الحفاظ على حياته .

وقد سافر باول إلى باريس عام ١٣٩٤، حيث أصبح قسيساً ، ونال حظوة لدى البابا بنديكت الثامن. ثم بدأ حملته ضد اليهود محاولاً إقناع ملك أرجون بأن يصدر قوانين معادية لليهود (٣) . ومن جانب آخر فقد تبوأ مكانة مميزة فى التعميد المسيحى فكان الأب الأسمى فى التعميد المسيحى . ومن الغريب أن باول كان يردد دائمًا أن كافة المسيحيين الجدد أى المتنصرين هم " أهل شر" . ويشير إليهم بأنهم أعداء سيطر عليهم الشيطان !!

ويلاحظ أن معظم القوانين الصادرة ضد اليهود عام ١٤١٢ قد استُلهمت وكتبت على يديه أثناء حكمه على قشتالة ، حيث هاجم رجال الدين اليهودى ووصفهم بالجهل (٤) .

وكان اعتناق باول سانتا ماريا للمسيحية الطريق الوحيد لوصوله إلى درجة رفيعة فى القصر الملكى ، حتى إنه أصبح عضوًا بمحكمة التفتيش ، وطارد إخوانه فى الدين فى كل مكان، واستطاع باول سانتا ماريا أن يحيط تنصره بسياج من التأكيد على إخلاصه للمسيحيين ، حيث أثنى على المذابح التى جرت لليهود عام ١٣٩١م ، وقال بأن الله هو الذى أثار الشعب ضدهم للانتقام لدم المسيح (٥) .

---

(1) كاسترو ، مرجع سابق ، ص٦٠٦ .

(2) المرجع نفسه ، ص٦٠٦ .

(2)Pablo de Santa Maria، The Purim Letter and Siete edades del mundoBy Judith Gale Kreiger Originally printed in the Fall issue of HaLapid ١٩٩٨

(4) كاسترو : مرجع سابق ، ص٦٠٦

(5) كاسترو ، مرجع سابق ، ص٦٠٦ –٦٠٨

وحمل أبناؤه وأحفاده لقب " سانتا ماريا " حيث تمتعوا بمكانة متميزة فى القرن الخامس عشر فى المجتمع المسيحى ؛ وظهر منهم قسيسون وأوصياء وأساقفة، وكان السبب الرئيسى فى اعتناق أسرة باول للمسيحية ، هو رغبتهم فى استمرار مصالحهم لدى البلاط والكنيسة(١) .

٧ــ يوسف اللورقي " יוסף אללורקי " : عرف باسم الراهب "جرونيمو دي فانتا بي "גרונימו די פאנטא פי" وكان يعمل طبيبًا ومستشارًا في بلاط الملك بنديكت الثالث عشر"בנדיקט הי"ג" وقد عرف بمناظراته الشهيرة مع الربانيين اليهود حول حقيقة يسوع المسيح والكتب المقدسة كالعهد الجديد ، وقد استمرت هذه المناظرات على مدى ٢٤ شهرًا ، وتحديدًا منذ فبراير ١٤١٣م حتى شهر نوفمبر ١٤١٤ م كما قام بتأليف كتب تعج باتهام اليهود وكشف تخليهم عن وعودهم عن طريق صلاة يهودية يؤدونها تسمى صلاة كل نذوري " כל נדרי" وهذه الصلاة عبارة عن إعلان من الشخص اليهودى عن إلغاء كل الأقسام والوعود والنذور التي قالها قبل صلاة مساء يوم الكيبور (٢) .

٨ ــ ليفي بن شيم طوف "לוי בן שם טוב" : عُرف بعد تحوله للمسيحية بــ" بيدرو دي لا كابلا ريا" "פידרו די לא קאבאלירִיאה" وقد عمل مستشارًا في بلاط مانويل"מנואל" ملك البرتغال في عام ١٤٩٧م ، وكان من ضمن أعماله البحث عن أطفال اليهود ، والقيام بتعميدهم رغمًا عن عائلاتهم (٣) .

٩ ــ هنريك نونيس " הנריק נונים " : عرف بعد تنصره باسم "دي بيرما بي " "די פירמא פי " وكان معروفا بأقواله التي هاجم فيها الأنوسيم أو المتنصرين علنًا، بالإضافة إلى أنه كان أحد مشجعي الملك كارل الخامس"קרל החמישי" بإنشاء محاكم التفتيش البرتغالية وكان معروفًا باسم المقدس""קדוש" عند المسيحيين (Martyr) (٤) .

---

(1) نفسه ، ص٦٥٨ .

(2) يرجع زمن تأليف تلك الصلاة ، إلى فترة الجاءونيم ، وأنها كان يتم قولها باللغة الآرامية لغة الحديث عند كثيرين من اليهود في تلك الفترة ، وقد تم ذكر التوراة في التلمود .(he.wikipedia.org כל_נדרי)

(3) האינציקלופדיה היהודית "דעת" ערך "מומר בתולדות ישראל"

(4) האינציקלופדיה היהודית "דעת" ערך "מומר בתולדות ישראל".

١٠ـ سيكستوس منسيناي " סיקסטוס מן סינא" وفيليب مورو" ופיליפ מורו" وهما اللذان قاما تحت رعاية البابا باول الرابع " פאול הרביעי" بتشجيع اليهود على التحول إلى المسيحية، فكان "سيكستوس" ، يحث اليهود على إحراق كتب التلمود على الموقد الذي صنعه بنفسه ، أما "فيليب" ، فقد اقتحم أحد المعابد اليهودية ذات يوم ووضع بداخلها تمثالاً لأحد القديسين المسيحيين أثناء يوم الكيبور معلنًا تحدية لقداسة هذا العيد عند اليهود [١] .

١١ـ المتنصر ألكسندر" אלכסנדר " : اشتهر بأقواله المعادية لليهود ، والتي كان يقولها في حضور البابا بيوس الخامس" פיוס החמישי" وكان من ضمن مؤيدي الحكم بطرد اليهود من البرتغال عام ١٥٩٨م [٢] .

١٢ـ فراى ألونسو دى إسبينا : من الشخصيات اليهودية التى كان لها دورها فى مجريات الأحداث الدامية والوشاية ضد اليهود هناك ، وكان يشغل رئاسة جامعة سلمنقة ، حيث هاجم اليهود فى كتاباته وكان أحد الأعضاء البارزين فى المجلس الأعلى لمحاكم التفتيش، وهو الذى أبلغ الملك أنريكى الرابع أن فى مملكته هرطقة كبرى أطلقها المتهودون الذين لا يزالون على الطقوس اليهودية ، وأنهم يحملون أسماء مسيحية وفى الوقت نفسه يقومون بختان أولادهم ، وقدم ألونسو طلبًا بمعاقبة هؤلاء المتهمين وجاء فى أحد كتاباته : "إذا تم فى عصرنا هذا عقد محاكم تفتيش فسوف يكون عدد الذين يتم حرقهم كثير من المتهودين"[٣] .

ويتضح مما سبق مدى الكراهية التى تختلج صدور رجال الدين اليهودى تجاه إخوانهم وأبناء دينهم فى سبيل إعلاء مصالحهم .

وكل هؤلاء اتخذوا من الوشاية ضد إخوانهم اليهود طريقًا للتقرب إلى الحكام المسيحيين وهو الدور الذى كانوا يمارسونه من قبل فى حارات اليهود[٤] .

ثانيـًا : نماذج الشخصيات المتنصرة التى دافعت عن اليهود ولم تتضح هويتها الدينية :

١ـ منسى بن إسرائيل" מנשה בן ישראל" (١٦٠٤ – ١٦٥٧) :

---

(1) المرجع نفسه .

(2) نفسه .

(3) كاسترو ، مرجع سابق ، ص٦٠٨ .

(4) كاسترو ، مرجع سابق ، ص٦٠٨ .

من يهود المارانوس ، كان حاخامًا وكاتبًا له عدة مؤلفات ، اشتهر بالشخصية المركبة والمزدوجة بين الغرب المسيحى والتقاليد الدينية اليهودية . كان يؤمن بالفكر القبالى والعقيدة المسيحانية [١] ، ويعتقد أن مجيء المسيح لن يتحقق إلا إذا تشتت اليهود فى كل مكان فى العالم ، وكان على اتصال بيهود المارانوس فى إنجلترا ، حيث دعا لتوطين اليهود فى إنجلترا ، وقد أبدى " كرومويل " تسامحًا معه ، بهدف استثمار اليهود فى أمور التجارة والتجسس والاتصالات الدولية. وقد ظهرت عقيدته فى مؤلفه " الدفاع عن اليهود" حيث بين فيه أن الدين لابد وأن يكون مسألة اختيارية ، ولا ينبغى للسلطات الدينية إجبار أحد على اتباع دين معين [٢] .

٢- إسبينوزا " ברוך שפינוזה " (١٦٣٢ - ١٦٧٧):

من يهود المارانوس ومن أبرز الشخصيات اليهودية التى افتقدت هويتها الدينية وكانت لها مكانة مرموقة فى الفلسفة اللاهوتية ، وهو ممن لم يكن لهم انتماء إلى المسيحية ولا اليهودية حاملاً لواء الإلحاد. ويؤمن أسبينوزا بالظاهر والباطن ، ويعتقد أن اليهودية دين الظاهر والمسيحية هي دين الباطن ، وكان من المؤمنين بالطبيعة ([٣]) . ويعتقد إسبنيوزا أن المسيح يتصل اتصالاً مباشرًا بالرب ، فى حين أن موسى النبى كان اتصاله بالإله من خلال واسطة ، مما دعا البعض بالقول أن إسبينوا كان مناصراً للمسيحية على حساب اليهودية. ويرى إسبينوزا فيما يتعلق بيهود المارانوس "أنهم اختلطوا بالأسبان إلى حد لم يبق منهم معه بعد وقت قصير شئ حتى الذكرى" ، ويقول : أما الذين عاشوا منهم فى البرتغال وأجبروا على تغيير دينهم فقد عاشوا منعزلين بعد استبعادهم من جميع المناصب"[٤] .

ونجد أن إسبينوزا لا يرى فى هؤلاء المتنصرين انتماء لليهودية نتيجة اختلاطهم بالأسبان المسيحيين وانعزالهم إلى جانب عدم اكتراثهم بأمور الختان المفروضة شرعًا عليهم .

---

(1) الفكر القبالى مأخوذ من عقيدة القبالاه التى تعرف بالتصوف اليهودى وهى التى ظهرت فى القرن الثانى عشر الميلادى وتعتمد على كشف أسرار العلاقة بين الخالق والمخلوقات والتوحد بين الخالق والفرد اليهودى . وتدعو هذه العقيدة إلى إعلاء الإنسان اليهودى على كافة البشر وتدعو أيضًا إلى إسقاط كافة الشرائع .

(2) wikipedia.org.מנשה בן ישראל

(3) wikipedia.org . ברוך שפינוזה

(4) إسبينوزا ، مرجع سابق ، ص١٨٨ ، ١٨٩ .

الفصل الثالث

معضلات الدمج والنبذ بين المارانوس ونظرائهم

أسهمت المطاردات العنيفة لليهود المتنصرين من قبل المسيحيين إلى بروز نمط جديد فى أوضاع هؤلاء اليهود حيث بدأوا فى تكوين تنظيمات جديدة ضد الأحكام الصارمة التى طبقتها محاكم التفتيش ضدهم بعد فشلهم في الاندماج بين صفوف المجتمع المسيحي الكاثوليكى ، الأمر الذى أدى بهم إلى الاندماج فى جماعات مسيحية في القرن السادس عشر – وذلك بعد مرحلة القرون الوسطى وبدايات العصر الحديث – وكانت هذه الجماعات معارضة للمجتمع المسيحي الكاثوليكي مثل حركة الإصلاح البروتستانتي وحركة الموئريم "המוארים""Alumbrados" أو المتنورين [١] .

وتكشف وثائق محاكم التفتيش أفكارًا لوثرية تحررية [٢] ، وتأثيرات تنويرية لجماعة الموئريم التى دخلت وسط المتنصرين الجدد ، كنتيجة للتعنت الكاثوليكى ، حيث انضموا إلى جماعات وفرق مسيحية أخرى مناهضة للمذهب الكاثوليكي السائد في المجتمع مثل المذهب البروتستانتى المعادى للكاثوليكية [٣] .

---

(1) כהנוב עזר (ד"ר) המכללה האכדמית אחבה . حركة المتنورين حركة إصلاحية صوفية مسيحية ظهرت خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر نتيجة للسياسة التى اتبعتها الكنيسة الكاثوليكية . (wikipedia.org)

(2) هى الأفكار التى نادى بها مارتن لوثر وكان كاثوليكيًا وقف موقفًا معارضًا لبيع الملوك صكوك الغفران . (wikipedia.org) . ولد مارتن لوثر عام ١٤٨٣٦ فى ألمانيا ، تخصص فى الدراسات اللاهوتية كان قسيسًا مخلصًا للكنيسة ، حتى أنه ذهب إلى روما للتبرك ورؤية القديسين والزهاد ، فهاله ما رأى من دعاوى غفران الذنوب وامتلاك سر التوبة وحق منح صكوك الغفران ، فوقف معارضًا ومستنكرًا لمظاهر الانحلال والفساد الخلقى فى الطبقات العليا من الكنيسة ، وكتب وثيقة الكنيسة ودعا إلى إشراف الحكومة على الكنائس وانتشرت مبادؤه انتشارًا كبيرًا ، إلا أنه لاقى صعوبة فى تحقيق دعوة الإصلاح الكنسى ، توفى عام ١٥٤٦ مخلفا مجموعة من الكتب والمؤلفات التى حملت دعوته . الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب ، مرجع سابق ، ص٦١٥-٦١٦ .

(3) כהנוב עזר (ד"ר) המכללה האכדמית אחבה . والبروتستانت فرقة من النصرانية عارضت الكنيسة الغربية ، وعارضت كل من يخالف الانجيل ؛ إذ يتبعون الإنجيل دون سواه ويعتقدون أن الكل متساوون أمامه ، بدأت فى القرن السادس عشر متأثرة بدعوات الاصلاح السابقة لها، ثم تحولت إلى حركة إصلاحية داخل

وكان المتنصرون الجدد يفضلون الإقامة بالأديرة الرهبانية المسيحية ، باعتبارها ستارًا يخفون من ورائه ممارستهم لشعائرهم اليهودية .

وكانت الطريقة الرهبانية الجرونيموية "מסדר גרונימו" [1] هى المفضلة لدى المتنصرين اليهود حيث تتسم هذه الطريقة بممارسة الراهب رهبنته فيها بشكل منفرد ، دون الدخول في جماعات من الرهبان الآخرين ؛ لذلك فضل المارانوس اتباع هذه الطريقة فى أدائها لعبادتها[2].

وقد انتشر المارانوس اليهود بعد خروجهم من إسبانيا – سواء طردًا أو فرارًا – فى جميع أنحاء العالم حيث ذهبوا بأعداد كبيرة إلى سالونيك فى تركيا ، حيث القوة اليهودية التى كانت موجودة فى هذا المكان فى ذلك الوقت – والتى تعرف بيهود الدونمة أو الشبتائيين ، حيث شكلوا نخبة قوية بانضمامهم إلى هؤلاء الشبتائيين المماثلين لهم فكريًّا وعقائدياً ، وكانوا يتوطنون تركيا ، ويهيمنون عليها سياسيًّا وثقافيًّا واقتصاديًّا . حيث اختفى المارانوس اليهود من إسبانيا ، بينما استمر وجودهم فى البرتغال حتى القرن العشرين يقيمون شعائرهم اليهودية خفية ، كما اتجهوا إلى إنجلترا وهولندا وفرنسا .

وتحاول بعض الجماعات اليهودية – خصوصاً في إنجلترا حيث يوجد يهود كثيرون من أصل برتغالي – أن يُهوِّدوا المارانوس اليهود ويُدخلوهم حظيرة اليهودية العلنية . كما بذلت الإليانس [3] جهوداً كبيرة في هذا المضمار، واتصلت بهم الوكالة اليهودية مؤخراً، ويبدو أنها أقنعتهم بالتهود والهجرة إلى إسرائيل. وهذا يعني بالنسبة لهم حراكاً اجتماعيًّا ؛ لأن معظمهم فقراء يعملون بائعين متجولين [4] .

=الكنيسة ثم إلى حركة عقائدية مستقلة من أبرز مؤسسيها مارتن لوثر . الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب ، المجلد الثانى، مرجع سابق، ص٦١٥ .

(1) الجرونيموية طريقة أسسها يهودى متنصر يدعى جرونيموفانتابي ، كان طبيبًا ومستشارًا للبابا بنديكت . وتتميز تلك الطريقة بالانفراد فى العبادة بالأديرة wikipedia.org)) .

(2) כהנוב עזר (ד"ר) המכללה האכדמית אחבה .

(3) الإليانس جمعية يهودية تأسست فى فرنسا عام ١٨٦٠م الهدف منها مساعدة اليهود فى كل مكان ، والدفاع عنهم ، وتنمية المجتمعات اليهودية عن طريق التعليم والتدريب ، ونشر حركة التنوير الأوربية بين يهود العالم ، وتدعيم النشاط التعليمى للمستوطنين اليهود فى كل مكان ، وجمع المال اللازم لهم . محمود : أمين عبدالله ، مشاريع الاستيطان اليهودى منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ، عالم المعرفة ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت ، عدد ٧٤ ، فبراير ١٩٨٤م ، ص٦٢ .

(4) المسيرى : مرجع سابق ، مجلد ٢ / جزء ٢ ، باب ٢ .

المبحث الأول
علاقة المارانوس بالحركات اليهودية المسيحانية

من أهم الأسباب التى أدت إلى معاداة الحاخامية اليهودية للمارانوس هو الدور الذى قام به المارانوس تجاه الحركات المسيحانية التى كانت منتشرة فى ذلك الوقت ، فقد أدى الشعور بالخوف من محاكم التفتيش واضطرار المتنصرين اليهود إلى إخفاء عقائدهم وازدواجية هويتهم الدينية إلى الاتجاه إلى الإيمان المجرد غير الملتزم بأى شعائر أو عبادات ، حيث ساهم المارانوس اليهود فى نشر النزعة المسيحانية التى تعوضهم عن الشعور بالانفصال عن المجتمعات ، وكان هذا الاهتمام هو الذى أدى بهم إلى الاندماج فى حركات مسيحانية أخرى ونشر أفكارها ومعتقداتها ، ومن تلك الحركات التى اتصل بها المارانوس واختلطوا بها حركة الشبتائيين أو يهود الدونمة التى ظهرت فى تركيا على يد مؤسسها شبتاى بن تسفى الذى أعلن أنه المسيح المنتظر ، وأعلن إسلامه ونادى بإسقاط الشريعة ، وتبعه جم غفير من اليهود فى جميع أنحاء العالم .

وكان اليهود فى أى مكان – كلما وقعوا تحت حكم دولة ما – يترسمون الخطى التى تساعدهم على البقاء فى سلام ، فنجدهم يعتنقون المسيحية فى إسبانيا وغيرها ظاهرًا ويضمرون اليهودية، ونجدهم تحت الحكم العثمانى فى الدولة العثمانية يعتنقون الإسلام ظاهرًا ويبطنون يهوديتهم .

وسوف نتناول بالدراسة والمقارنة حركتين من الحركات المسيحانية التى ظهرت فى القرون الوسطى وكان لهما تأثيرهما على المجتمعات التى عاشوا فيها، حيث تشابهت عقائدهما مع المارانوس فى حمل طبيعة دينية تختلف عن ديانتهم الأصلية ، وهاتين الحركتين هما حركة يهود الدونمة (الشبتائيين) والحركة الفرانكية .

أولاً : علاقة المارانوس بالشبتائيين (الدونمة) :

الشبتائية " שבתאות" هى إحدى الحركات المسيحانية التى ظهرت كغيرها من الحركات التى اعتنقت دينًا يختلف عن اليهودية وظهرت فى تركيا فى القرن السادس عشر ،

مؤسسها هو شبتاى بن تسفى (١٦٢٦ – ١٦٧٦) الذى ادعى أنه المسيح المنتظر ، وكان مؤمنًا بعقيدة القبالاه السرية اليهودية وقد صدقه كثير من اليهود حيث توجهوا له من كـل مكان متوسلين به فى دعائهم بقولهم: "مبارك رب يعقوب، مسيح العدل ، ملـك الملـوك، السلطان شبتاى ، ليحفظه الملك الأكبر وليرعاه، ويرفع نجمه ومملكته، ويجعل قلوب الملوك والأمراء تتجه نحوه ونحونا ونحو إسرائيل بالخير ، آمين"(١) .

وبينما كان المارانوس فى إسبانيا يواجهون قهرًا واضطهادًا من جانب المسيحيين ، كـان اليهود فى تركيا يعيشون فى ظل التسامح الإسلامى العثمانى ، حياة استقرار وأمان ، وكـان السلاطين يمنحوهم حرية العبادة وأداء شعائرهم فى معابدهم بحرية تامة ، حـتى أصـبحوا يتمتعون بحصانة قوية جعلتهم لا يخضعون لسلطة الدولة ، فكانوا يشكلون حكومة داخـل الحكومة العثمانية (٢) .

وهذا هو الأمر الذى كان عليه يهود الأندلس فترة العهد الاسلامى، ومثلما فعل يهـود إسبانيا من حيث استغلال الحرية الدينية بفرض السيطرة والتسلل لأنظمة الدولة الداخليـة وإدارها ، واعتلاء المناصب الحيوية فى الدولة ، كما ذكرنا آنفاً ، كان اليهـود فى تركيـا يقومون بالعمل نفسه، حيث قام شبتاى – مؤسس الشبتائية فى تركيا – بتشجيع قيام دولة لليهود على حساب الدولة العثمانية ، بإعلانه أنه المسيح الذى ينتظره اليهود فى كل مكان فى العالم ، فكان اليهود يتوجهون له بالدعاء كملك عليهم بدلاً من السلطان العثمانى ، ممـا أدى إلى تقديمه للمحاكمة من قبل السلطان العثمانى مراد الرابع ، وخيره بـين المـوت أو الدخول فى الإسلام ؛ فأشهر إسلامه ، وأدخل أتباعه معه إلى الإسلام ـــ وهم الذين عرفوا بيهود الدونمة ـــ حيث قام بإقناعهم بقبول شخصيته الإسلامية مدعيًا أنه كالنبى موسى الذى اضطر أن يبقى مدة من الزمن فى قصور الفراعنة (٣) .

---

(1) S. Balakrishman : introduction to Hindu Religion, printed at Mehta offset works, New pelhi.

(٢) عبدالعزيز: الشناوى : الدولة العثمانية دولة مفترى عليها ، مكتبة الأنجلو المـصرية ، بـدون تـاريخ ، ٢ / ٧٥٠ .

(3) Episten, l: Judaism : A Historical presentation, penguine Books, London, 1974.

يعد شبتاى بن تسفى أول مبشر للصهيونية حيث مثل توجهه بالعودة إلى فلسطين تطابقاً مع المسيحانية الـصهيونية العلمانية التى ترفض عقيدة الانتظار ، بل تعتقد ضرورة التعجيل بالنهاية حتى يبدأ العصر المسيحانى دون انتظـار المسيح .

والدونمة لفظة تركية تعنى المرتد ، واصطلاحًا معناها المسلم ظـــاهرًا ، اليهـــودى فعـــلاً وباطنًا، وتعنى المنافق والخائن [١] وهى مشتقة من المصدر التركى "دونمه ليك" (Donmalik) وتعنى الارتداد عن الدين . وهناك تفسير آخر للدونمة يرجع إلى كلمة فارسية تتكون مـــن شقين "دو" بمعنى " اثنين" و"نمه" بمعنى "الفرقة" أى القائمة على نوعين من الأصول؛ الأصل اليهودى ، والإسلامى [٢] وهو اسم يعنى الرجوع والتراجع والتغير والعودة من مكـــان إلى آخر، وبمعنى الراجع الذى يغير فكره واعتقاده [٣] . ونلاحظ من معانى الدونمة قرب معناها مع المارانوس اليهود الذى يعنى الخائن والمنافق والمرائى .

ويطلق على الدونمة فى العبرية مصطلح " (مئامنيم) "מאמינים" وتعـــنى المـــؤمنين أو المصدقين بـــ "شبتاى تسفى" "שבתי צבי" وقد سموا أنفسهم بـــ "جبريم" "גברים" بمعنى الرجال [٤] .

وبالمقارنة بين جماعات الدونمة (الشبتائيين) وبين طوائف المارانوس اليهود المتنصرين نجـــد أن كلاهما يمثل شخصيتين مزدوجتين : ظاهرية : تتمثل فى ديانة السكان الأصليين للبلاد التى تواجدوا فيها . وأخرى باطنية : وهى الممثلة فى أصولهم اليهودية . ويلاحظ أن أفراد الدونمة كانوا يتخفون وراء أسماء إسلامية يستعملونها فى حياتهم العامة ، أما أسماؤهم اليهودية فكانوا يستخدمونها داخل بيوتهم وأثناء أدائهم مناسكهم اليهودية، وكذلك فعل المارانوس اليهـــود حال تنصرهم حيث حولوا اسمائهم اليهودية إلى أسماء مسيحية .

ولم يرتبط يهود الدونمة بنسب لا باليهود أبناء دينهم وجنسهم ، ولا بالأتراك المـــسلمين السكان الأصليين فى مدينة سالونيك فعاشوا منعزلين عن المجتمع [٥]

ومثلت الدونمة حركة سياسية دينية ، فكانوا يشغلون مناصب قيادية فى تركيـــا وكـــان منهم "جاويد بك" الذى شغل منصب وزير للمالية فى الدولة العثمانية [٦] وقد قبلت هـــذه

---

(1) Seltzer, R.M.: Jewish people Jewish Thought, Collier Macmillan publishers, U.S.A. 1980.

(2) ظاظا :حسن : مرجع سابق ، ص٢١٠ .

(3) A.R. Kucuk, Donmeler Tarihi, Ankara, 1992, s. 197 .

(4) www.wikipedia.org ערך שבתי צבי

(5) A.R. Kucuk, a.g.e.٢٠٨

(6) نفسه ، ص٣٤.

الجماعة الإسلام لأسباب سياسية، وكانوا يستعملون اللغة العبرية فى صلواهم ، والتركية فى حديثهم مع عامة الناس [١] ، وكذلك المارانوس الذين تدخلوا فى سياسة البلاد فى الأندلس وتقربوا إلى الملوك ورجال البلاط المسيحى وكانوا يستخدمون اللغة الإسبانية فى صلاهم .

وكان الشبتائيون يمارسون الشعائر الإسلامية ظاهرا مع أداء شعائرهم اليهودية خفية داخل معابدهم اليهودية مثلهم مثل المارانوس الذين كانوا يقيمون الشعائر المسيحية فى الكنائس. كذلك مارس الشبتائيون شريعة الختان فكانوا ينفذونها فى العام الثالث من ميلاد الطفل، والبعض الآخر ينفذها فى العام الثامن حتى لا يلفتوا الأنظار [٢] وهذا ما فعله المارانوس اليهود أيضاً فى إسبانيا من أجل إخفاء عقائدهم السرية وأثبتناه فى سياق الدراسة .

ومن ناحية أخرى كان تأثير الشبتائيين كبيراً على المجتمع التركى فى كافة المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية [٣] ، وكذلك كان تأثير اليهود المتنصرين على مقدرات الدولة فى إسبانيا كبيرًا إلى الحد الذى أدى بالسلطات المسيحية إلى إنشاء محاكم التفتيش للتحقق من حقيقتهم .

ويبرر هؤلاء اليهود – سواء المارانوس أو الشبتائيون – دخولهم ديانات أخرى غير ديانتهم الأصلية ، أن المسيح المنتظر يمثل أحداثًا غامضة فى التاريخ سوف تظهر فيما بعد لكى ينهى مهمته . وأنه لابد له من اتباع سلوك غير مفهوم ومليء بالخطايا ، لكنه فى حقيقته مهمة إلهية يقوم بها لإنقاذ شعبه ، ومثال على هذا ما ادعاه المارانوس بتطابق حالهم مع استير الواردة قصتها فى التوراه ويعتقد اليهود أن الإنسان اليهودى مقدس مهما اقترف من ذنوب، ولابد للمسيح أن ينزل لعالم الدنس لتطهيره ، حسب زعمهم ؛ لذا فهم يضفون على الخطيئة مظهر القدسية ، ومن هنا أعطوا للمسيح إمكانية الدخول فى غير دينه [٤] .

وكان يهود الدونمة يحرمون الزواج من غيرهم ، وهذا الأمر فعله المارانوس اليهود الذين كانوا لا يتزوجون إلا فيما بينهم .

---

(1) نفسه ، ص٤٢ .

(2) نفسه ، ص٢٥ .

(3) المرجع نفسه ، ص٣٣ – ٣٦ .

(4) The Zohar, ٥. Vol,Translated by Harry Sperling &Maurica Simon, The soncino press, London, Jerusalem, New York,
reprinted ١٩٧٠. p ٢٨ .

وهذا التشابه فى العقائد والممارسات السرية ، شجع كثيرًا من المتنصرين اليهـــود علـــى الانضمام والاندماج فى حركة الشبتائيين ، أثناء هجرتهم الى تركيا بعد اضطهادات محـــاكم التفتيش وعلى الأخص فى مدينة سالونيك التى كانت مقرًّا رئيسًّا ليهود الدونمة وشـــهدت أكبر تجمع يهودى فى أنحاء تركيا ، ومن جانب آخر كان اليهود والمارانوس المبدلين لدينـــهم يرغبون في عودة الحكم السياسي لليهود بعد الانحدار السياسي الذي تم التعبير عنه بطردهم من إسبانيا والبرتغال في القرن الخامس عشر الميلادي ، وكذا الرغبة في إنهاء الحكم السياسي الكاثوليكي المسيحي[١] .

كذلك التقى المارانوس والشبتائيون فى عدائهم للحاخامية اليهودية والنزوع إلى التحرر من الشرائع التى تفرضها الديانة ، ومثّل هذا الاتجاه معاداة الحاخامية اليهودية لكل منـــهما حيث طالبت بالقضاء عليهما واعتبارهما خطرا على اليهودية .

ثانيًا : المارانوس والفرانكية" כת הפרנקיסטים":

الحركة الفرانكية هي إحدى الحركات التى تعبر عن ازدواجية الايمان فى اليهودية ، والتى ظهرت عام (١٧٥٩م)فى مقاطعة بودوليا التابعة للدولة العثمانية ، وتعد مـــن الحركـــات المسيحانية المشابهة فكرًا وعقيدة للمارانوس وهى امتداد للشبتائية . ومؤسسها هو يعقـــوب فرانك" יעקב פרנק" ، الذى أعلن أنه المسيح المنتظر عام ١٧٥٥م ، حيـــث أعلـــن أن الروح التى كانت تسكن شبتاى تسفى قد تقمصته وتجسدت فيه . وفى عام ١٧٥٧ اعترف به الشبتائيون وأعلنوه زعيمًا عليهم .

وكان فرانك يشكل نمطًا فكريًّا إلحاديًّا خاصًّا وذلك بإعلانه :

" أن الطريق للحياة هو التحرر من كل الشرائع والأديان والقوانين" ويـــرى أن "قمـــة الصعود تأتى حينما يسقط الإنسان إلى القاع ، وإصلاح الروح لا يتأتى إلا باتباع ســـلوك الفجور"[٢].

---

(1) כהנוב עזר (ד"ר) המכללה האקדמית אחבה .

(2) ناظم ، منى . المسيح اليهودى ، مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر دولة الإمارات العربية المتحدة ، أبو ظـــبى ، سلسلة ثقافية قومية ، نحن وهم ، ص٢٢٥ ، ٢٢٧ .

وقد اعتبر عدد كبير من اليهود فى أوربا أن هذه الأفكار هى أحسن الطرق إلى الحرية السياسية والروحية [1] .

وقد قامت المحكمة الدينية اليهودية بمعارضة هذه الحركة بسبب ممارساتها المهرطقة والملحدة ؛ فأسقط الفرانكيون اليهودية عنهم، وأكدوا أن معتقداتهم تشترك مع الكنيسة ، وأعلنوا معاداتهم للتلمود، وطلبوا حماية الكنيسة ، ووافقت الكنيسة ، بغرض تحقيق التنصر الجماعى لهم وأجريت مناظرة بين الكنيسة والحاخامية ، كانت نتيجتها أن قبلت الكنيسة تنصر فرانك وأتباعه ، وظل أتباعه يعتقدون أنه المسيح المعذب . وكان أتباعه يتزاوجون فيما بينهم ، ومنهم من سلك الحركات الماسونية وكان من بينهم رجال الثورة الفرنسية .

ومثلما فعل يهود الدونمة والمارانوس اليهود فإن الفرانكيين كانت لهم أسماء مسيحية إلى جانب أسمائهم اليهودية [2] حيث سمى يعقوب فرانك نفسه بـ "سانتوسينور" أى السيد المقدس وأعلن كفره بالتلمود [3] .

وتعد الفرانكية إحدى الحركات التى ظهرت فى التاريخ التى لا تنتمى إلى دين من الأديان لتعبر عن اليهود الخارجين عن الدائرة اليهودية معتنقين ديانات أخرى ومتخذين هويه دينية شكلية ، فينتهى أمرهم بالإلحاد ويصبحون غير مقبولين . سواء من أبناء دينهم أو من أصحاب الديانة التى اعتنقوها .

وأخيرًا نقول أننا إذا ما قارنا عقائد وممارسات اليهود المارانوس اليهود فى إسبانيا والبرتغال مع طوائف اليهود الشبتائيين والفرانكيين الذين عاشوا فى تركيا ، فعلى الرغم من اختلاف طبيعة كل بلد عن الأخرى ، واختلافات الجنس والديانة واللغة، إلا أننا نجدهم يشتركون فى ممارسات واحدة من حيث المحافظة على السرية والتخفى ، والقدرة على إخفاء الحقائق وإظهار غير ما يبطنون، ثم قدرتهم على التسلل إلى عمق المجتمع الذى يعيشون فيه ويؤثرون فيه ، مع الاحتفاظ بعزلتهم فيما بينهم، وفى الوقت نفسه يتمكنون من أداء شعائرهم بعيداً عن الأنظار، منتهجين شخصيتين منفصلتين ، إحداهما ظاهرة أيًّا كان

---

(1) المرجع نفسه ، ص٢٢٥-٢٢٧

(2) سوسة ، مرجع سابق ، ص٤١١ .

(3) ظاظا : مرجع سابق ، ص١٢٨ .

اعتقادها، والأخرى باطنة تعتقد اليهودية . وقد اجتمعا جميعًا فى رفض الحاخامية اليهودية لهم.

وبالمقابل فقد قامت المؤسسة الحاخامية اليهودية بتشجيع محاكم التفتيش على تعقب يهود المارانوس والقضاء عليهم ، وحدث نفس الشيء أيضاً مع الشبتائيين الذين اعتبرهم الحاخامية اليهودية فئة مهرطقة خارجة عن دائرة اليهود، وكانت تشجع السلطات العثمانية للقضاء عليهم؛ حتى أن الحاخامات اليهود كانوا يطلقون على الشبتائيين لفظ "الكفار" ويطلقون على اليهودى المتنصر لفظ "المطرود من حظيرة الدين"[١] .

وعلى جانب آخر عارض المارانوس ، الحاخامية اليهودية التى رأوا فيها نوعًا من التشدد والجمود والبعد عن الفكر المتحرر من كل قيد ، ووجدوا ضالتهم فى تحطيم كل القيود بالدخول فى أديان أخرى من أجل النفاذ إلى داخل المجتمعات التى يعيشون فيها . وقد التقوا جميعهم فى ترويج المفهوم القبالى اللوريانى المبطل للشريعة والمؤيد للتيار الروحى الإنسانى المتحرر من قيود الشريعة ، والخروج من دائرة الدراسات التلمودية التى نادى بها الحاخامات، الأمر الذى أدى إلى ظهور حركات يهودية مسيحية .

(1) ظاظا : حسن : مرجع سابق ، ص١٢٧ .

المبحث الثاني

موقف الحاخامية اليهودية والشرائع من المارانوس

عد بعض حاخامات اليهود المارانوس يهودًا مرتدين وغرباء عن اليهودية ، وذلك لكونهم تنصروا بإرادهم . واعتبروهم طائفة ملحدة ؛ وذلك لظروف تواجدها بين مجتمعات تأثرت بفلسفات عقلية معاصرة غير يهودية فى عبادهم وطقوسهم وعقائدهم ، الأمر الذى أدى بالحاخامية اليهودية بتشجيع محاكم التفتيش على تعقبهم والقضاء عليهم مما يلزم الدراسة توجيه النظر والبحث فى موقف هؤلاء المتنصرين من الشريعة اليهودية وبالمقابل موقف المشرعين اليهود منهم سواء أكان قبولاً أو رفضًا .

موقف المتنصرين اليهود من الشرائع اليهودية :

إن السؤال الذى يطرح نفسه الآن هو :

ما موقف المتنصرين اليهود الذين حاولوا التمسك باليهودية فى الباطن بالنسبة للتشريع اليهودى؟

وما هو موقف الشخص المارانوسي الواقع تحت الجبر على إخفاء يهوديته وإظهار المسيحية ؟

فطبقًا لما ورد فى تشريع "موسى بن ميمون" "רמב"ם" [1] : "لابد وأن يلتزم كل بيت فى إسرائيل بعبادة الرب ، والأفضل لليهودى أن يموت من أن يخرج عن الشريعة ، أما فى حالة الإجبار والقسر على غير ذلك فيعفى اليهودى من العقاب " . وقد جاء تشريع موسي بن ميمون فى هذا الشأن " إذا أجبر اليهودى على إلغاء شريعة رغمًا عنه – قسراً وإجباراً – فهو معفي من العقاب"[2] .

---

(1) موسى بن ميمون أشهر علماء ومشرعى اليهود فى القرون الوسطى ، سبق ترجمته .(he.wikipedia.org)

(2) האינציקלופדיה העברית . ע ٣٥٥ –٣٥٦انظر ايضا ספר משנה תורה –יד החזקה להרמב"ם– שנת תרפ"ה– לב"ע –עם פרוש רבי שמעון גלזר– volume1-maimonides publishing co- new yprk (1927) ספר מדע פ"ה (ב– ה) ص١٤٧–١٤٩ .

وبحسب تشريع الراب " إسحاق بار شيشت" "ר' יצחק בן ר' ששת ברפת "[١] :

" فإن المتنصرين الذين لم يستطيعوا الرجوع إلى فلسطين ، وظلوا في أماكنهم ، ومارسوا شرائعهم اليهودية بينهم وبين أنفسهم فيكون الحكم عليهم أنهم مثل اليهود الكاملين ، وتعد ذبائحهم حلال، وشهادهم موثوق بها فى المحاكم ، أما فى حالة استطاعة المتنصر الهروب والعودة لإسرائيل ، وتفضيله البقاء حفاظًا على أمواله وممتلكاته، فهو فى نظر المشرعين غير صالح ، بل مرتد وغير جدير أن يكون يهودى، ولا يعتد بشهادته " ([٢]) .

ويخالف هذا الرأى بعض المشرعين فيرون أنه إذا سنحت لهم الفرصة للهرب ، ولم يقوموا بهذا العمل خوفًا على ممتلكاهم ، وتجاوزوا عن بعض الشرائع اليهودية بسبب الإجبار الخارجي ، فهؤلاء لا يجب الخوف منهم ولا يعتبرون مرتدين[٣] .

والحقيقة فإنه بمرور الزمن فقد اختفت العقيدة والتقاليد اليهودية من ذرية عائلات المتنصرين اليهود في إسبانيا والبرتغال حيث تزوجوا من عائلات خارج اليهود ، وسافر الكثير منهم في كل أنحاء العالم ؛ لذلك ساد بين اليهود حالة من البلبلة والشك حول موقف المتنصرين الذين عادوا لليهودية ، خصوصًا فيما يتعلق بالزواج والعلاقات والأنساب[٤].

موقف التشريع اليهودى من زواج المتنصرين :

اختلفت الآراء وتضاربت بشأن زواج المتنصرين ، فالشريعة اليهودية تحرم الزواج من غير اليهودى بحسب المادة ٣٩٦ التى ورد فيها: " إن الزواج المعقود بين يهودى وكافرة أو العكس باطل ، والحياة الزوجية القائمة بينهما تعتبر فجورًا وزنًا مستمرين ، والأولاد الذين يولدون من هذه المعاشرة المرذولة يعتبرون أبناء زنا" [٥] .

---

(1) رابي يتسحاق بر شيشيت برفت ويختصر اسمه إلى "هاريباش " הריב"ש" ولد عام ١٣٢٦م في برشلونة بإسبانيا ، وتوفي في عام ١٤٠٨م في الجزائروهو مشرع لكثير من الفتاوى اليهودية والتي استخدمها يوسف قارو مؤلف الشولحان عاروخ كأساس لكتابه .(wikipedia.org)

(2) האינציקלופדיה העברית . ע ٣٥٥ - ٣٥٦ .

(3) المرجع نفسه .

(4) האינציקלופדיה העברית . ע ٣٥٥ - ٣٥٦ .

(5) ظاظا : مرجع سابق ، ص ١٩٢ .

وفى هذا الشأن يقول ابن شمعون "דוד בן שמעון" [1] : "لا يكتفى بوحدة الدين بين الزوجين ، بل ينص على وحدة المذهب أيضاً " استناداً إلى المادة ١٧ التى ورد فيها : "الدين والمذهب شرط لصحة عقد الزواج ، فإذا كان أحد الاثنين من غير الدين أو مـــن مـــذهب آخر فلا يجوز العقد بينهما ، وإلا كان باطلاً" . وتضيف المادة ١٨ أنه " يصح أن يعقد بين اثنين كان أحدهما أجنبيًّا ثم اعتنق الدين أو المذهب اعتناقاً شرعيًّا " ويضيف الشراح علـــى ذلك :

" أن الأولاد الذين يولدون من زواج اثنين أحدهما يهودى ، والثانى أجنبى لصيق باليهود عن طريق اعتناق دينهم ، لا يصح أن يكون منهم ؛ كهنة فى إسرائيل" [2] . وقد شرع بعض الربانيين أمثال "إسحاق بر شيشيت" والراب "شمعون بن تساميح دوران" "ר' שמעון בן צמח דוראן" ([3]) في الجزائـــر، و"إليـــاهو مزراحـــي" "רבי אליהו מזרחי" ([4]) في القسطنطينية، "أن ذرية المتنصرين اليهود بعد عدة أجيال يعتبرون يهودًا من ناحية الـــزواج والطلاق واليبوم "יבום" وخلافه [5] وهناك من شرع أن أبناء المتنصرين وذريتهم الـــذين ولدوا بعد تغيير ديانتهم اليهودية للمسيحية من قبل والديهم يعتبرون مثل الأغيار فهـــم لا يحتاجون لليبوم ، أما إذا تهودوا ، فيكون مسموحاً لهم أن يدخلوا شعب إسرائيل [6] . وقد نتج ذلك بسبب أن ذرية المتنصرين اليهود الذين عاشوا بين الأغيار أكثر من مائة عام قـــد

---

(1) داود بن شمعون ولد في الرباط بالمغرب عام ١٨٢٦ ومات ١٨٨٠ مشرع ورجل دين يهودي ، تولى رئاســـة الطائفة اليهودية في شمال أفريقيـــا ويختـــصر اسمـــه إلى " דב"ש" (אינציקלופדיה ידיעות אחרונות – www.ynet.co.il/yaan) .

(2) ظاظا : حسن : مرجع سابق ، ص١٩٢ .

(3) رابي دوران شمعون بن تساميح ويختصر اسمه إلى راشبتس "רשב"ץ" مشرع يهودى ولـــد في عـــام ١٣٦١ في برشلونة بإسبانيا (he.wikipedia.org) .

(4) رابي إلياهو مزراحي (١٤٣٥–١٥٢٦) أحد المفسرين لكتابات راشي ويختصر اسمه إلى "הרא"ם" .

(5) اليبوم شريعة يهودية خاصة بالأحوال الشخصية تقول أن الأرملة اليهودية التى مات زوجها ولم تنجب منه يجب تزويجها لأخيه الأعزب جبرًا ، وإذا أنجب منها فإن المولود يحمل اسم أخيه الميـــت . ظاظـــا : مرجـــع ســـابق ، ص١٩٤.

(6) האינציקלופדיה העברית . ע ٣٥٥– ٣٥٦ . (الموسوعة العبرية) .

تزوجوا من أجنبيات، ولهذا فإن يهوديتهم مشكوك فيها ، ويتم التأكد من نسبهم اليهودي عن طريق الأم .

أما المتنصر الذي كان بإمكانه الهروب ولم يهرب فيعاقب بتغريمه بألا يـرث ممتلكـات إسرائيلية ، والمتنصر الذى تاب وعاد لليهودية فإنه يستحق نفس حقوق الـوارثين بـلا أي نقص[١] . وقد ألزم حكماء صفد وعلى رأسهم رابي "يعقوب بير آب " عقاب المتنـصرين التائبين بالجلد على عدم تنفيذهم الوصايا . أما المتنصر الذي هرب من أرض مولده ولم يختتن فكانوا يمنعونه من استخدام أدوات المعبد حتى يتم اختتانه [٢] .

المتنصرون فى أدب الأسئلة والأجوبة هاشئيلوت وهاتشوفوت השאלות והתשובות الخاص بالشرائع:

تركت واقعة طرد اليهود من إسبانيا انطباعاً وأثراً على أدب الأسئلة والأجوبة "ספרות השאלות והתשובות"[٣] الخاص بتلك الفترة ؛ ونظراً لأنه لا يتسع المجال لمناقشة كـل القضايا التشريعية المهتمة بشئون المتنصرين فسوف نقتصر على قضية واحدة وهي ، ما هو الموقف التشريعي للمتنصرين اليهود فيما يتعلق بالزواج والطلاق؟

---

(1) האינציקלופדיה העברית . ע ٣٥٥- ٣٥٦ ..

(2) المرجع نفسه .

(3) أدب الأسئلة والأجوبة هو أدب الحاخامات الكبار وفروعه التى كتبها "الجاءونيم" (رؤساء المـدارس الدينيـة) والحاخامات الضليعون فى التوراة وفى إصدار الفتاوى ، وكان فى صورة أجوبة علـى أسـئلة فى أمـور تتعلـق بالشريعة فى موضوعات متنوعة ، وكان الحاخامات الأوائل قد اعتادوا الإجابة على الأسئلة المتنوعة التى كانـت توجه إليهم عن طريق الكتابة ، وبخاصة بشأن الشريعة ، باعتبارهم "الجاءونيم" و"رؤساء اليشيفوت" فى بابـل . وقد خضعت الأسئلة والأجوبة لتعديلات كثيرة حتى وصلت إلى هدفها، وكانت الأسئلة ترسل بواسـطة كبـار التجار البابليين من بغداد والبصرة ممن كانوا يذهبون لترويج بضائعهم فى أوروبا وأفريقيا أو العكس ، وذلك عن طريق القوافل ، وقد تم حفظ آلاف الإجابات التى أصدرها "الجاءونيم" و "عظماء الشريعة والفقه اليهودى" مثل "هريف" والحاخام "موسى بن ميمون" والحاخام "راشي" ، وغيرهم، حتى اليوم ، و"الأسئلة والأجوبة" أو "فقـه الفتاوى" ذات أهمية بالغة فى قضايا تاريخ الدين اليهودى وفقهه ، وتعتبر مصدرًا غاية فى الأهميـة للبـاحثين فى تاريخ اليهود فى كل مجالات الحياة . الشامى : رشاد ، موسوعة المصطلحات الدينيية اليهودية ، المكتب المـصرى لتوزيع المطبوعات ، القاهرة ٢٠٠٣م ، ص٢٨٠ .

وهي التساؤلات التي دار حولها مجادلات كثيرة استمرت حتى أيامنا هذه[1] .

وكان المارانوس اليهود فى بداية تنصرهم لا يتزوجون إلا فيما بينهم . وكانت القيادة الروحية للجماعة في يد النساء العجائز، وكان يهود المارانوس يُشكلون قوة متماسكة فيما بينهم، فالتاجر اليهودى المتنصر يرفض أن يشارك تاجراً آخر حتى يتأكد من هويته ، وقد ساعد هذا التّماسُك على تسهيل الحياة الاجتماعية للمارانوس[2] غير أن هذا الوضع قد تغير بعد ذلك نتيجة للاختلاط بين المسيحيين واليهود لسنوات طويلة فأصبحوا يتزوجون من غير دينهم .

والسؤال الآن هو: ما موقف المتنصرين كيهود ، هل يمكن اعتبارهم يهودًا كاملين ؟ أم أنهم يحتاجون إلى طهارة واغتسال عندما يرغبون العودة إلى اليهودية خشية أن يكون آباؤهم قد تزوجوا من سيدات أجنبيات ؟

وللإجابة على هذا السؤال نذكر بعض آراء الربانيين والمشرعين فى هذا الشأن : ففي تشريع رابي "شلومو بن أفراهام بن أديرت" " רבי שלמה בן אברהם אבן אדרת"[3] فيما يتعلق بالمتنصرين في زمانه يقول :" لا يجري على المتنصرين ما يجري على المتهودين ، ولا يحتاجون إلى طهارة حيث إن الطهارة لا تكون إلا للمتهود" .

ويقول "رابي إلياهو مزراحي" لا نطالب المتنصرين اليهود الذين جاءوا تائبين من إسبانيا إلا بالاختتان فقط " [4] .

والسؤال الآخر هو : هل يمكن اعتبار المتنصرين وذريتهم يهوداً مادام قد ثبت أنهم لم يختلطوا بأغيار أو لم يثار حولهم شك أنهم تزوجوا زواجًا مختلطًا ؟ ويجيب رابي "شمعون دوران" على ذلك فيقول :

---

(1) אליאב שוחטמאן . מעמדם ההלכתי של האנוסים לאור ספרות התשובה . שנת תשנ"ג . www.daat.ac.il ٢٨-٤-٢٠٠٧ .

(2) المسيرى : موسوعة ، مجلد ٢ / جزء٢ / باب٢ .

(3) رابي شلومو بن أديريت ، ولد ببرشلونة في عام ١٢٣٥ وتوفي في عام ١٣١٠يختصر اسمه في العبرية إلى رشبا "רשב"א" من كبار مفسري التوراة والتلمود في فترة الريشونيم ، وهي الفترة التي تمتد من القرن الحادي للقرن الخامس عشر تقريبًا ، وقد تم استخدام فتواه كأساس لكتاب الشولحان عاروخ الخاص بالتشريعات اليهودية مثله مثل رابي يتسحق بر شيشيت . www.wikipedia.org.

(4) אליאב שוחטמאן . מעמדם ההלכתי של האנוסים לאור ספרות התשובה.

"حرص المتنصرون اليهود على ألا يتزوجوا من أجنبيات منذ بداية تنصرهم ، وكان زواجهم يتم فيما بينهم فقط ، وساد بينهم ذلك ..جيل بعد جيل ..وكان كل متنصر يريد العودة لليهودية يتم التأكد أن والديه من إسرائيل وليسوا أجانب .. لذلك فهؤلاء المتنصرون اليهود لا تفرض عليهم الطهارة مادام تم التأكد من أصلهم اليهودي، وعلى الرغم من وجود قلة من المتنصرين اليهود اختلطوا بالشعوب الأخرى واتخذوا لهم زوجات من بناتهن إلا أن هؤلاء قلة قليلة جدًا ...أما الذين لم يتزوجوا من أجنبيات فهم كثيرون جدًا[١] .

وجاء في إجابة أخرى : (إن الزواج بين متنصر وأجنبية ، أمر مكروه ومذموم ، ولا يجب الاختلاط بنسل هذا الزواج ؛ لأن هذا النسل يعتبر مثل نسل الأمم الأخرى (الجوييم أى الأغيار).

أما "الرابي يوم طوف تسهالون " " יום טוב צהלון " [٢] فقد كان أكثر تساهلاً فى هذا الشأن حيث اعتبر ذرية المتنصرين يهودًا كاملين فيقول :

"ليس هناك خوف أن يكون والد هذا المتنصر الأغلف قد تزوج من أجنبية وولدت له هذا الابن، وعلى هذا فما ينبغي عليه ، هو أن يختن ويغتسل مثل الأغيار الذين يريدون التهود".

وفيما يختص بـ " اليبوم (الأرملة اليهودية التى تلزم بالزواج من أخي المتوفي)" فقد ورد سؤال (حول زوجين من المتنصرين اليهود في البرتغال تزوجا حسب الشريعة اليهودية وكانا يسيران في عقائدهما مسلك الأمم الأخرى وكانا يدنسان شريعة السبت علنًا ، ثم عادا إلى إسرائيل ، وعقدا زواجهما حسب شريعة موسى ثم مات الزوج دون أن ينجب ، فهل هذه الزوجة تصبح ملزمة بشريعة اليبوم أم لا؟) .

وفي رده على هذا السؤال يقول رابي "يوم طوف" ، أن تشريع اليبوم في هذه الحالة يكون قائمًا . أما فى حالة ذوبان المتنصرين بين الأغيار فلا يكون هناك إلزام بشريعة اليبوم .

---

(1) אליאב שוחטמאן . מעמדם ההלכתי של האנוסים לאור ספרות התשובה.

(2) ويختصر اسمه في العبرية إلى ماهريتاس (מהריט"ס) (١٥٥٩-١٦٣٨) من حكماء صفد، عاش بعد طرد اليهود من إسبانيا بأجيال. www.wikipedia.org.

ويؤكد على هذا رابي "أفراهام جبرييل" " אברהם גבריאל" فيقول :

إذا كانت لهم القدرة على تخليص أنفسهم ، واتخذوا لأنفسهم زوجات من بنات الأغيار، ولم يحرصوا على الزواج من بنات المتنصرين اليهود ، فهم يعتبرون أغيارًا كاملين ولا إلـزام لهم بشريعة اليبوم .

وكتب رابي "يوسف بن ليف" יוסף בן דוד אבן לב "[1] أنه بمـرور الوقـت بـدأ المتنصرون يتخذون أجنبيات كمحظيات وعشيقات لهم ، وهو أمر غير مـسموح بـه فى الشريعة اليهودية .

أما المتنصر الذى يعرف أن أمه أجنبية أو شك في هذا ، فيجب عليه أن يمر عبر قـوانين التهود مثله مثل الأغيار . وقد تناول رابي " شلومو بن زمـرا " " דוד בן שלמה אבן זמרא" [2] هذه المسألة فقال أنه إذا عرف أن جدة المتنصر كانت وثنية ، ووالده إسرائيلي فلابد له من الاغتسال كما ورد في شريعة التوراة ([3]) . ومما سـبق يتـضح تنـاقض أراء المشرعين اليهود فى قانونية اعتبار هؤلاء المتنصرين يهودا أم أغيار .

شرعية عقود الزواج للمتنصرين اليهود :

كان محرمًا على اليهود المتنصرين المقيمين فى إسبانيا والبرتغال تنفيـذ وصـايا الديانـة اليهودية ، فيما يختص بطقوس عقود الزواج حيث كان يفرض عليهم إجراؤها فى الكنيسة . واتباعا لمبدأ التخفى كان اليهود المتنصرون يؤدون طقوس الزواج مرتين ، مـرة علنًـا في الكنيسة ، ومرة أخرى سرًّا وفقـًا لطقوس الزواج بحسب الشريعة اليهوديـة ، وبمـرور الوقت توقف المتنصرون عن هذه العادة واكتفوا بأداء مراسم الزواج فى الكنيسة فقط كما يشير رابي "يوم طوف تسهالون"

---

(1) رابي يوسف بن داود بن ليف من حكماء تسالونيك في القرن السادس عشر اشتهر بشرائعه وفتـواه الدينيـة ويختصر اسمه إلى " מהר"י בן לב " أو " מהריב"ל". www.wikipedia.org

(2) داود بن شلومو بن زمرا (١٤٧٩ – ١٥٧٣) مؤلف كتاب اسئلة وأجوبة للراب شلومو زمرا ويختصر اسمـه إلى هاردباز " הרדב"ז" .www.wikipedia.org

(3) שאלות ותשובות .מנחת אלעזר . לקוטי תשובה . שייבר חיים אלעזר שפירא ירושליים. כסלו תשנ"ן .חלק חמישי . סימן א – סימן ה .

والسؤال هنا : كيف تنظر الشريعة لعقود الزيجات التى تمت فى الكنيسة ولم تتم بموجب الشريعة اليهودية وأرادت الزوجة التزوج بآخر يهودى ؟ .

والرد على هذا السؤال يتفرع إلى عدة اتجاهات ، فإنه إذا اعترفت الشريعة بـصلاحية هذا العقد ، فالمرأة لا تستطيع الزواج من شخص آخر يهودى ، إلا إذا حصلت على وثيقة طلاق من زوجها الأول – طبقاً للشريعة اليهودية .

أما إذا ذهبت الزوجة وتزوجت شخصًا آخر بلا وثيقة طلاق صالحة شرعًا ، فإن أولادها من الزوج الثاني يعدون مامذيريم "ממזרים" أى أبناء غير شرعيين(١).

وقد حدثت عدة وقائع تتعلق بانفصال أزواج من المتنصرين اليهود ، فقد هرب الزوجة من إسبانيا أو البرتغال ، بينما يرفض زوجها الهرب معها ، فتتركه وتـذهب وحـدها إلى إسرائيل . فإذا أرادت هذه المرأة الزواج مرة أخرى ، دون حصولها على وثيقة طلاق مـن زوجها السابق . فماذا يكون وضعها؟

وقد أدى هذا الأمر إلى ظهور مشكلة لمجموعة كبيرة من النساء المعلقات "עגונות" (٢) اللاتى حرم عليهن الزواج مرة أخرى بلا وثيقة طلاق ، مما اضطر هؤلاء النسوة أن يتزوجن من غير اليهود ، وقد نتج عن ذلك ظهور فئة جديدة من غير المؤهلين دينيًّـا للـدخول في الشعب اليهودي ، ونتج عنها ظهور أبناء غير شرعيين. وقد أحدثت تلك الظـاهرة تـأثيراً على البنية الدينية للمجتمع الإسرائيلى (٣) .

مما أدى إلى منع حكماء إسرائيل من السير في هذا الطريق ، حيث شـرعوا أن عقـود الزواج للمتنصرين اليهود غير نافذة ؛ لأنها تؤدي إلى ظاهرة المامـذيريم أو الأبنـاء غـير الشرعيين .

صلاحية شهادة المتنصرين فى رأى المشرعين اليهود :

من أهم الاستفسارات التى دارت بشأن أوضاع هؤلاء المتنصرين:

---

(1) אליאב שוחטמאן . מעמדם ההלכתי של האנוסים לאור ספרות התשובה .

(2)هي المرأة المعلقة في الديانـة اليهوديـة، والـتي لا تعتـبر مطلقـة أو متزوجـة لـسبب مـا في الـشريعة www.wikipedia.or.

(3) אליאב שוחטמאן . מעמדם ההלכתי של האנוסים לאור ספרות התשובה .

ما مدى صلاحية المتنصر للشهادة على عقود زواج أو طلاق وما شابه ذلك ، وخاصة لذلك المرتد عن اليهودية قسرًا؟ .

بوجه عام فإنه طبقًا للشريعة اليهودية فإن كل المتنصرين لا يمكن اعتبارهم صالحين للشهادة أومؤهلين لها ؛ وذلك لأنهم خاطئون فى نظر الشرع ، فالشريعة تقول أنه "يفضل للشخص أن يموت ولا يفعل ثلاث خطايا ومنها الوثنية"[1] وهؤلاء المتنصرون اليهود لم يحافظوا على الشريعة ، بل غيروا عقيدتهم، وتخطوا كل الوصايا التي تفضل الموت على تخطيها ، فهم إذن خطاة وغير صالحين للشهادة[2].

لكننا نجد رابي "إسحاق بن شيشيت" في عدد من ردوده حول صلاحية شهادة اليهودى المتنصر فيقول : " إن قول الشريعة : يقتل ولا يتخطى الوصية نافذ ، إلا فى حالة خوف اليهودي من أن يقتل ، فهو فى هذه الحالة إذا تخطى الوصية يكون صالحًا للشهادة ما دام فعل ذلك رغمًا عنه ؛ وذلك لأن خشية الموت تكون قد حلت عليه ".

ويشير رابي "إسحاق بن شيشيت" فى هذا – مستشهداً بقول رابي شلومو بن أفراهام بن أديرت – فيقول : " إن الاسرائيلي الذي غير عقيدته نتيجة الخوف ، فعلى الرغم من أنه أخطأ، إلا أنه إسرائيلي"[3] . وهذا الرأى يعطى قدرا من التسامح مع المتنصر .

إذن متى يعد المتنصر المجبر مؤهلاً للشهادة؟

يقول المشرعون اليهود : إذا كان المتنصر محافظًا على الوصايا اليهودية بينه وبين نفسه ، فإنه يكون صالحاً للشهادة ، أما إذا كان بينه وبين نفسه متخطيًا للوصايا وخارجًا عليها فهو غير صالح للشهادة !! .

أما بالنسبة لشهادة المتنصرين المقيمين بالخارج حاليًا يقول : "إسحاق برشيشيت" " إن كان المتنصر في البداية يتخطى الوصايا رغمًا عنه ، فإنه يتخطاها الآن برغبته ويعنى ذلك أنه غير مقبول، ويؤكد "هارياش" هذا الرأى فيقول :

---

(1) يطلق اليهود الوثنية على كل من هو غير يهودى فيعدونه أجنبيًا أو وثنيًا .

(2) אליאב שוחטמאן . מעמדם ההלכתי של האנוסים לאור ספרות התשובה.

(3) שאלות ותשובות .מנחת אלעזר .חלק חמישי . סימן א – סימן ה .

"إن هؤلاء المتنصرين اليهود الذين فضلوا البقاء في أراضي الارتداد عن اليهودية طـوال الوقت، ولم يهربوا في الوقت الذي أتيحت لهم الفرصة للهرب ، مثلمـا فعـل متنـصرون آخرون، فهم يعدون خاطئين وغير مؤهلين أن يكونوا شهودًا.

أما إذا كانوا تحت وطأة الإكراه، فإنهم يعدون يهوداً كاملين "[١].

" أما فى حالة طلاق امرأة من زوجها المتنصر وشهد على طلاقها متنصرون يهود ؛ نجـد تشريع رابي "إسحاق بر شيشيت" فى هذا الأمر يقول أن هذا الوضع يوكل لتحقيق حاخامي لهؤلاء الشهود حتى يتم التأكد من أهليتهم للشهادة ، ومن ثم يتم إباحة وبيان شرعية وثيقة الطلاق بالاعتماد على شهادتهم عليها .

وفي سؤال آخر حول مدى صلاحية عقد تم أمام شهود من المتنصرين اليهود ، واتـضح أنهم من خارقي الوصايا بينهم وبين أنفسهم ؟ فبحسب رأى رابي "إسحاق بر شيـشيت" ، فإن هذا العقد يكون لاغيًا وغير شرعي . ويعزز هذا الرأى رابي "شمعون بن تساميح دوران" فيقول : "على الرغم من صلاحية المتنصرين للشهادة ، إلا أنه إذا اتضح أنهم غير حريصين على الوصايا ويتجاوزونها فإنهم يعدون كسائر الوثنيين ، أي غير جديرين بالشهادة "עדות" والعقد الذي يتم أمامهم لا يعتبر نافذًا " .

أيضاً أثير تساؤل آخر وهو: " ما هو وضع المرأة التى تم عقد زواجها على رجـل مـن الأغيار وكان والده أيضاً من الأغيار ويشك أن أمه من نسل إسرائيل ، أو أنها كانت مـن المتنصرين اليهود؟

فبحسب الشريعة اليهودية ؛ فإن الرجل الذى من الأغيار ويتزوج فتاة إسرائيلية وينجب منها ، فإن عقد زواجه يكون نافذاً .

وبحسب ما سنه رابي "إسحاق بن شيشيت" ، ورابي "شمعون بن تساميح دوران" فإنه لابد من أن تخضع كل حالة من تلك الحالات إلى فحص مدى صلاحية وشـرعية عقـد المـرأة المتنصرة ومعرفة من هم شهود العقد ؟ هل كانوا يحافظون على الشريعة اليهودية بينهم وبين أنفسهم أم لا ؟[٢] .

ومن الطبيعي أن هذا الأمر كان يلقى صعوبة شديدة نظرا لكثرة الحالات التي من هـذا النوع .

وطبقا لما ورد فى تشريعات حكماء سالونيك :

---

(1) אליאב שוחטמאן . מעמדם ההלכתי של האנוסים לאור ספרות התשובה.

(2) שאלות ותשובות .מנחת אלעזר .חלק חמישי . סימן א – סימן ה .

فإن " كل إمرأة تزوجت من رجل إسرائيلى ارتد عن اليهودية فإن عقد زواجه عليها يكون لاغيًا ، وفى هذه الحالة تعد محللة لأي أحد من إسرائيل يريد أن يتزوجها ، وذلك لعدم وجود شهود مؤهلين ، ولا يوجد في هذه الحالة إلزام لشريعة اليبوم ، ومن حقها أن تتزوج أى شخص إسرائيلى " .

وجدير بالذكر فإن السلطات الروسية كانت تسن قوانين تفرض على عدد من المتنصرين اليهود فى روسيا التخلي عن العقائد جميعًا ، ومنها اليهودية بما يشمل طقوس الزواج اليهودية ، ولم يكن باستطاعة المتنصرين الخروج منها ، وكان الزواج وطقوسه يتم بين المتنصرين فى روسيا بشكل مدني .

ومما سبق يتضح لنا تضارب الآراء حول أوضاع هؤلاء المتنصرين لدى الحكماء والمشرعين والحاخامات اليهود ومدى إمكانية السماح لهم بنيل حقوقهم من اليهودية ، فمنهم من اعتبرهم يهودًا كاملى اليهودية فى حال عودتهم لليهودية ، والبعض الآخر اعتبرهم مارقين وخارج الدائرة اليهودية .

ويتضح لنا من الاستفسارات والمحاورات التى دارت حول زواج المتنصرين باليهود – والتى عرضناها من خلال آراء أهل الشريعة اليهودية ، والتى تبدو بشأن الزواج من الأغيار كما يطلقون عليه ــ فقد حكم بعضهم ببطلانه ، غير أن البعض سمح به ، والحقيقة فإن موافقة المشرعين على قبول هؤلاء يأتى من الرغبة فى تشجيع العودة إلى إسرائيل ، ضماناً للانتماء اليهودي ، سواء على مستوى الآباء أو ذرياتهم من الأبناء ، والمرأة التى تزوجت فى الخارج وعادت لترغب فى آخر حسب شريعة موسى عليه السلام ، فإنه لا يهم عند معظم المشرعين اليهود إذا كانت تحمل وثيقة طلاق من زوجها الأول ــ الأجنبى ــ أم لا ، باعتبار أن هذا الزواج غير معترف به ، وفى هذه الحالة يكون الزواج الأول كأن لم يكن ، وفى الوقت نفسه تستطيع الزواج من أى إسرائيلى ترغب الزواج منه .

بينما نجد نقطة أخرى وهى – بحسب رأى المشرعين – أن المتنصر يعد يهوديًا كاملاً إذا كان يبطن اليهودية بينه وبين نفسه ، ونتسائل من أين لهم معرفة ما يدور فى نفس الشخص حتى يتم الحكم عليه من هذا المنطلق ؟!!

المبحث الثالث

واقع المارانوس المعاصر

إذا حاولنا تقصى الأوضاع الحالية ليهود المارانوس فإنه يتعين بنا أن نطرح عدة تساؤلات يمكن أن تحدد ماهية واقع هؤلاء اليهود المتنصرين وتتحدد هذه التساؤلات فيما يلى :

هل مازال يوجد على الساحة العالمية ما يعرف بهؤلاء اليهود المتنصرين ؟

فإذا كانت الاجابة بنعم فماذا عن تنصر هؤلاء وما الفرق بينهم وبين مارانوس العصور الوسطى ؟ ثم ما هى الأسباب والدواعى التى تجعل يهود اليوم ينتسبون للمسيحية ويؤدون الشعائر اليهودية سرًّا .

ونتساءل : ما هو الهدف من حرصهم على سرية ممارسة شعائرهم اليهودية ونحن نعيش القرن الواحد والعشرين الذى ينادى بحرية العبادة لكل إنسان ، خاصة هؤلاء اليهود الذين يتبوأون مكانة قلبية بين الغربيين وخاصة فى الولايات المتحدة الأمريكية .

كما نتساءل ، كيف يمكن الحكم على هوية شخص يجمع بين منصب الحاخام اليهودى والبابا الكاثوليكي وما مدى قبوله من الجانبين اليهودى والمسيحى .

الأمر الذى يجعلنا فى حاجة إلى توضيح : مدى انتشار هؤلاء المتنصرين فى أنحاء العالم وما هى الديانة التى ينتمون إليها ؟ اليهودية أم المسيحية ؟ أم هى خليط بين كل منهما ؟ أم نمط ديني جديد ينسخ ما قبله من عقائد ؟ .

ثم كيف نستطيع ان نوجه انتماء هذه الجماعات اليهودية المتنصرة طبقا لما سقناه خلال الدراسة هل ينتمون إلى الكنيسة الكاثوليكية التى عاشوا بين ملوكها وحكامها ورجال بلاطها كمستخدمين لهم أم أنهم تابعين للبروتستانت أعداء الكاثوليكية الذين اتجهوا إليهم وانضموا إلى صفوفهم معلنين العداء لكل ما هو كاثوليكى .

والسؤال الأساسى هنا : ما هى أسباب ترحيب العالم الغربى بهؤلاء المارانوس ؟

ويلاحظ مما ذكرناه فى ثنايا الدراسة أن الانتماء اليهودى الدينى والعقائدى لدى يهود المارانوس بدأ يزول تدريجيًا من قلوب المتنصرين أنفسهم نتيجة لطول فترات التخفي التى عاشوها فى البلاد . حتى أصبح أداء العبادة فى السر والخفاء من الأمور المعتادة لديهم فى

الوقت الذى سُمح لهم بمزاولتها طبقا لمبدأ حرية العبادة والـذى أعلنتـه البرتغـال عـام ١٩١٠م، حيث اعتادوا عدم التصريح بحقيقة عقيدتهم في إسبانيا والبرتغال وغيرهما من بلاد العالم .

وكما سبق القول فإنه نتيجة لمعاناة المارانوس اليهود تحت الحكم الكاثوليكى للبلاد ، فقد آثروا الانضمام إلى الحركات التنويرية والمذهب البروتـستانتى المنـاهض للكاثوليكيـة فى العصور الحديثة . وشكلوا نمطًا من أنماط العلمانية بمفهومنا الحالى ، والتى تعلى مـن شـأن الجانب الدنيوى على حساب الدين والعقيدة .

ومن ناحية أخرى فقد عارض المارانوس الحاخامية اليهودية فى تعصبها وتشددها وجمودها وفرضها الانعزال عن الأغيار حيث نادوا بالحرية الدينية وفصلها عن السياسية ، مما أدى إلى تقسيم يهود أوربا إلى فرق وطوائف مختلفة حيث قصروا إيمانهم وعقائدهم على الجوانـب النفسية والروحية وأهملوا الجانب الشعائرى [١] . الأمر الذى أدى إلى اعتبار يهود المارانوس شكلاً من أشكال العلمنة التى تظهر فى عدم الاكتراث بالدين ، وذلك بتوجيـه اهتمـامهم بالدولة كنظام سياسى بعيدًا عن المجال الدينى . والمتأخرون من فقهاء اليهود اعتبروهم فرقة من الخوارج أو الجوييم ([٢]) .

انتشار المارانوس فى أنحاء العالم :

انتشر المارانوس فى معظم أنحاء العالم بعد طردهم من إسبانيا حيث ذهبوا بأعداد كبيرة إلى سالونيك فى تركيا وكانت هذه المدينة تمثل أكبر تجمع يهودى فى تركيـا وبعـد وصـول المارانوس إليها مثلوا أعدادا كبيرة تفوق كل اليهود المتواجدون فيها .

من ناحية أخرى ذهبت أعداد منهم إلى إنجلترا وأمستردام وهامبورج وهولندا وعاشوا فى هذه البلاد كجماعة هامشية تمتزج بين المسيحية واليهودية ، ترتبط بالمسيحية بالاسم فقـط بينما تمارس اليهودية سرًّا على الرغم من تغير الأوضاع والـسماح بحريـة العبـادة عـام ١٩١٠م[٣] .

---

(1) المسيرى ، اليد الخفية ، مرجع سابق ، ص٩٤ .

(2) ظاظا ،مرجع سابق ، ص٢٦٠ .

(3) المسيرى ، اليد الخفية ، مرجع سابق ، ص٨٩ ، ٩٠ .

ومن أشهر المدن التى يسكنها المتنصرون اليوم مدينة "بورتو" ومدينة بلمونت [1] في البرتغال . ويطلق المارانوس على أنفسهم وذرياقم اسم المتنصرين "אנוסים" أو ابناء المتنصرين "בני אנוסים " حيث انتشر أبناؤهم في العالم فيوجد أعداد منهم في إسبانيا ، وجزء بالبرتغال وأعداد أخرى في البرازيل، والمكسيك ، وكولومبيا ، وإنجلترا وهولندا وغيرها من الأماكن التى تمكنوا من الهروب إليها أثناء وقت الإبادة [2] .

وللاجابة على السؤال الأخير الذى سقناه آنفا حول أسباب ترحيب الدول الغربية بمؤلاء المتنصرين اليهود فيكمن فى الأمور الآتية :

أولاً : خبرة هؤلاء المارانوس فى الأمور المالية والتجارية وقدرقم على تأسيس شركات تجارية رأسمالية كبرى إضافة إلى تعاملاقم فى بورصات الأوراق المالية بكفاءة والتى ساعدت فى تطوير وتحديث النظام الرأسمالى الغربي .

ثانيًا : قدرقم على الاندماج فى المجتمعات الدولية ، إلى جانب قدرقم على التجسس لصالح الدول التى يعيشون فيها .

ثالثًا : احتكارهم لمجال التجارة الدولية واحتكارهم تجارة الرقيق وخاصة فى مستعمرات البرتغال فى أفريقيا .

رابعًا : تزامن ظهورهم فى المجتمعات الغربية مع ظهور العلمنة فى العالم الغربى حيث أدوا أدوارًا أساسية فى تحديث وعلمنة أوربا .

خامسًا : نقد المارانوس للحاخامية اليهودية وتعصبها حيث يرون فيها صورة تتفق مع محاكم التفتيش ، مع إيمانهم القوى بشخصية المسيح مع تأكيدهم بأهمية الإيمان المجرد غير الملتزم بشرائع أو عبادات .

سادسًا : اهتمام المارانوس بعقيدة القبالاه اليهودية التى ارتبطت بالتصوف والنزعة المسيحانية والتى تؤمن بشمولية الإنسانية وإسقاط الشرائع .

---

(1) تقع مدينة "بورتو" فى الشمال الشرقي للبرتغال ، وكانت هذه المنطقة معروفة بتواجد كثير من المتنصرين اليهود بها ، وتقع بالقرب منها مدينة "بلمونت" التى كان يوجد بها طائفة من المتنصرين اليهود الذين عادوا إلى اليهودية عن طريق دار قضاء كان يرأسها الراب مردخاي إلياهو.(he.wikipedia.org) .

(2) בירנבוים אליהו. יהודי עולמי . תנועת התשובה של הקצין הפורטוגזי

سابعًا : ارتباط المارانوس بالحركات التنويرية اليهودية وأفكار مندلسون وإسبينوزا الـتى تنادى بإسقاط الشريعة والاحتفاظ بالجوهر الموسوى مع رفض كافة القيود الدينية .

ثامنًا : إعلاء المارانوس الجانب المادى والتفوق الكبير فى هذا الجانب الذى يوطد ويثبت اقدامهم أمام كل من يخالفهم .

وينقسم متنصرو اليوم إلى :

- متنصرون يعيشون كيهود بشكل سري ويمارسون التقاليد اليهودية فى الخفـاء ، ويؤمنون بيهوديتهم ويعملون على العودة إلى الحظيرة اليهودية .

- متنصرون يهود يحافظون على تقاليد يهودية معينة اعتادوا عليهـا مثـل إشـعال الشموع، والزواج من داخل نطاق العائلة ، لكنهم لا يعرفون تفسيراً لما يفعلونه من عادات ولا يرون فيها أي نوع من الأفعال الدينية أو حتى الانتماء لليهودية نظـرًا لانـدماجهم فى مجتمعات غير يهودية .

- متهودون متنصرون آخرون ذوو هوية يهودية ، مؤمنون بيهوديتـهم ، لكنـهم لا يحافظون على الشعائر اليهودية ، ويتزوجون من الخارج وهو ما يتنافى مع الشريعة اليهودية .

وقد كان الوجود اليهودى فى أسبانيا قد انتهى على نحو مفاجئ عام ١٤٩٢ عندما منح الملكان الكاثوليكيان فيرديناند وإيزابيلا ، ١٠٠٠٠٠ يهودى على الأقل مهلة ثلاثة أشـهر ليتحولوا لاعتناق المسيحية أو يغادروا البلاد .

وعلى مدى أكثر من خمسة قرون ، حافظ اليهود من أصل أسبانى على تراثهم الثقـافى بدءًا من لغة اللادينو وحتى الأسماء والأغانى والأطعمة أو ألعاب الأوراق .

بل إن بعض اليهود السفارديم احتفظوا بمفاتيح بيوت أسلافهم فى إسبانيا ، وكان علـى العروسين أحيانا أن يوقعا عقد زواج قديم يتعهدان فيه باحترام قـوانين مملكـة (قـشتالة) الإسبانية .

ونجد أن نحو ٤٥ مليون يهودى من أصل أسبانى يعيشون فى بلدان مختلفة من بينها تركيا وأورجواى والولايات المتحدة .

ومن أبرز الشخصيات المتنصرة التى ظهرت فى القرن العشرين ونادت بعودة المتنـصرين إلى اليهودية ودافعت عن حقوق اليهود فى أداء شعائرهم دون جبر، آرثـر كـارلوس دي

بروش باسطو" ארתורו קרלוס דה ברוש בסטו " ويعد رائد قمويد المارانوس في القرن العشرين ١٨٨٦-١٩٥٩ كان ضابطاً في الجيش البرتغالي فترة الحرب العالمية الثانية ، وكاتباً معروفاً ، ولد لأسرة كاثوليكية، عاش فترة كبيرة من حياته ، ولا يدرى أنه يهودى الأصل ـــ طبقًا لعادة المتنصرين فى إخفاء أصولهم اليهودية عن أبنائهم حتى سن البلوغ ـــ وعندما كبر باسطو كشف له جده أصله اليهودي ، ومنذ ذلك الحين بدأ الضابط الصغير يبحث عن جذوره اليهودية وبعد قموده ، حول اسمه إلى "أفراهام بن هاروش" "**אברהם בן הראש**"[١] .

وقد بدأت علاقة باسطو بالطائفة اليهودية في مدينة لشبونة التى كانت تمارس الشعائر اليهودية سرًا [٢] ، واتصل بإخوانه اليهود الذين انتشروا فى مدن "بورتو" و"بلمونت" وظلوا يحافظون على ممارسة شعائرهم اليهودية بشكل سري بين أهالي هذه القرى والمدن[٣] . وحتى يحقق باسطو مهمته فى دعوة المتنصرين للعودة إلى اليهودية ، كان يذهب إلى تلك القرى لزيارة هؤلاء المتنصرين، ويعلن لهم الفرصة في التوبة ، ويوصيهم بضرورة الختان [٤] .

وقد شمل برنامج باسطو لمتنصري البرتغال زياراته للقرى وقيامه بعمليات ختان للمتنصرين كعمل أولي للعودة لليهودية .

ومن أهم أعماله فى هذا المجال إنشاؤه معبدًا يهوديًا ليكون قاعدة أساسية، وبنية روحانية ودينية لكل المتنصرين في المنطقة .

وقد قامت بعض العائلات اليهودية الثرية بدعم باسطو ماليًا من أجل تنفيذ مهمته ومنها عائلة " قدوري" المشهورة في "هونج كونج" حيث قامت بتمويله لبناء المعبد الكبير الذى تم افتتاحه عام ١٩٣٨م، وأطلق عليه ماقور حاييم "מקור חיים" أي منبع الحياة ، ويضم مغطسًا للتطهر، وعددًا من الكتاتيب للدراسة بالمدرسة الدينية التى التحق بها عشرات

---

(1) בירנבוים אליהו. יהודי עולמי . תנועת התשובה של הקצין הפורטוגזי كان من عادة اليهود المتنصرين ألا يكشفوا لأبنائهم أصولهم اليهودية حتى يكبروا ، وذلك ليتصرفوا بشكل طبيعى ولا يتشكك أحد فى هويتهم .

(2) نفسه .

(3) בירנבוים אליהו. יהודי עולמי . תנועת התשובה של הקצין הפורטוגזי

(4) المرجع نفسه .

التلاميذ. وبمرور السنين أصبح هذا المعبد مركزاً مهمًّا لأنشطة اليهود المتنصرين في المنطقة، كما قام باسطو بتأسيس جريدة باسم هلفيد "הלפיד" أي المشعل ، كتب فيها عـــشرات النشرات الدورية لتعليم اليهودية[١] .

وعندما ذاع صيت باسطو ونشاطاته من أجل عودة المتنصرين لجذورهم اليهودية، وتأثيره على آلاف المواطنين في المنطقة ، قامت الكنيسة بمحاولة لإبعاده باتهامه بالشذوذ الجنـــسي ، الأمر الذى يدل على استمرارية تعقب الكنيسة لكل مـــن يحـــاول إعـــادة المتنـــصرين إلى اليهودية، وعلى الرغم من تبرئته من كل المحاكمات التي أجريت له ، إلاّ أنه تم عزلـــه مـــن الجيش البرتغالي ، مما أدى بالتالى إلى وقف نشاطه ، كما توقف نشاط غيره من المتنصرين ف ذلك الوقت عن العودة لليهودية خوفًا من تهديدات الجيش والكنيسة [٢] .

وينادى بعض اليهود بشرعية عودة المارانوس إلى الحظيرة اليهودية ويشجعون انضمامهم إلى إسرائيل بهدف الاستفادة من قوتهم ونفوذهم وثرواتهم .

ومن ناحية أخرى عارض بعض حاخامات اليهود هؤلاء اليهود المتنصرين وذلك بسبب اندماجهم فى مجتمعات غير يهودية لفترات طويلة من الزمان أدت إلى إبعادهم عن ديانتـــهم الأصلية، بالإضافة إلى دخول أفكار تحررية سيطرت عليهم تنادى بإبعاد الدين عن الدولة ، وتطالب بتوجه علمانى يسعى إلى التحديث بعيدًا عن الدين ، وقد اعتبر عدد من الحاخامات أن هؤلاء المارانوس يشكلون خطرًا على المفاهيم اليهودية الأصلية والفكر الدينى.

ولم يكن رفض حاخامات اليهود للمارانوس بأقل من رفض المارانوس للحاخامات ؛ حيث أخذ المارانوس على الحاخامية اليهودية التعصب الشديد .

ونجد اليوم تصاعدًا فى الدعوة إلى تجميع تلك الفئات إلى العودة إلى اليهودية والمجتمـــع الإسرائيلى ، بهدف تقوية وتعزيز المجتمع ، وأيضًا للاستفادة من نفوذهم المـــالى والتجـــارى واستثمار ثرواتهم .

ومما لا شك فيه فإنه بانتهاء فترة العصور الوسطى ، وما جرت فيها من أحداث ، فقـــد أصبح المارانوس – نتيجة لاندماجهم ومعايشتهم الطويلة فى بلـــدان مختلفـــة فى الأصـــول

(1) בירנבוים אליהו. יהודי עולמי . תנועת התשובה של הקצין הפורטוגזי

(2) المرجع نفسه .

والعقائد والجنسيات – يمثلون جماعات منعدمة الهوية وفقـًا لمصالحهم ، حيث لا انتماء عندهم لدين أو شعبٍ أو أصل نتيجة لاندماجهم كليًّا وجزئيًّا بالمجتمعات الأخرى ، خاصة الأوربية ، والدليل على ذلك اختيارهم البقاء بمحض إرادتهم والإقامة فى الأوساط الأوربية على الرغم من الحرية والتشريعات التى أعلنتها منظمات حقوق الإنسان فى العالم واحترام حرية العبادة والمعتقدات الدينية أيًّا كانت، وهنا يتضح لنا التباين بين مارانوس اليوم ومارانوس العصور الوسطى فمارانوس العصور الوسطى يمكن أن يدخل بعضهم فى إطار المجبر أو المضطر لدخول المسيحية فى ظل الاضطهاد والإجبار تحت وطأة محاكم التفتيش ، أما اليوم فما معنى وجود عناصر يهودية متنصرة لازالت تمارس شعائر اليهودية فى الخفاء ؟ !! الأمر الذى يؤدى بنا إلى القول بأنهم يمثلون جماعات مارقة خارجة عن أصولها اليهودية.

الخاتمـــــة

فى ختام الدراسة لطوائف "المارانوس" اليهود المتنصرين الـــتى ظهـــرت فى إســـبانيا ، ثم انتشرت فى أرجاء العالم مكونة حركات مسيحية يهودية علمانية متحررة نخلص بمجموعة من الاستنتجات للحكم على هذه الجماعة وتشمل العوامل التالية :

– كان الحصول على المنافع والمصالح الشخصية واعتلاء المناصب فى البلاط الملكى سببًا فى تخلى اليهود عن معتقداتهم وديانتهم الأصلية .

– نجحت طوائف المارانوس "اليهود – المسيحيون" فى التغلغل وسبر أغوار المجتمعـــات الإسبانية والبرتغالية ، والغربية عمومًا . حيث خلقوا قواسم مشتركة مع الحكومات الرسمية فى هذه البلدان بالاعتماد عليهم فى مجالات التخابر والجاسوسية لصالح تلك البلـــدان . وفى المقابل حقق الملوك والحكام الكاثوليك الاستفادة المطلوبة من هؤلاء اليهود باعتبارهم أجراء يحققون طموحاتهم ومصالحهم ورغباتهم سواء أكانت شخصية أو سياسية دولية . حتى إذا ما وصلوا لنهاية تحقيق رغباتهم فكان نبذهم وإبعادهم وطردهم هو أسلم الطـــرق للـــتخلص منهم.

– أدى التطور الاجتماعى والسياسى لجماعات المارانوس اليهودية فى المجتمعات المسيحية إلى تحولهم إلى جماعات ضغط على النظام السياسى الحاكم فى هذه البلاد .

– أثبتت الطبيعة المزدوجة لدى المارانوس ، المتأرجحة بين المسيحية واليهودية ، انفصامًا فى الهوية الدينية وضحت من خلال ممارساتهم الشعائر المسيحية فى الكنائس وأداء شعائرهم اليهودية سرًا فى المنازل والمعابد السرية .

– استطاع المارانوس عن طريق تسخير وسائلهم المالية من تجارة واســـتثمارات وجبايـــة الضرائب وامتلاك الثروات فى التسلل إلى داخل البيوتات الحاكمة حاصلين علـــى أعلـــى المناصب داخل البلاط الملكى . فكانوا أول من أنشأوا شركات مالية واســـتثمارية عـــابرة للحدود مصاحبة أفكارًا دينية حديثة متحررة من كل قيد .

– سهلت عمليات اندماجهم فى المجتمعات الغربية تطور لاستثماراتهم للأموال عن طريق التجارة الدولية والأعمال المصرفية التى تفوقوا فيها على حساب البلدان التى عاشـوا بـين جانبيها خاصة المجتمع المسيحى .

– أوضحت الدراسة قدرة اليهود المتنصرون على المراوغة وإخفاء ممارسـة عقائـدهم الأصلية بعيدًا عن الأعين ونجاحهم الإفلات من تعقب المحاكم مع إظهار التمسك بالمسيحية.. كل هذا مكنهم من الانتشار فى المجتمعات الخارجية والاتصال بذويهم فى أنحاء العالم.

– التغلغل داخل البلاط الملكى والنفوذ المالى والتجارى ، وأساليب إخفـاء العقيـدة ، ساعد المارانوس على اتصالهم بنظراء لهم فى مختلف أرجاء العالم بهدف تقوية المصالح والمنافع المتبادلة وفتح منافذ للاقتصاد اليهودى .

– معاداة النخب اليهودية القوية منهم لأبناء جلدتهم أدت إلى تبوئهم مناصب ومراكـز كبرى داخل المجتمع المسيحى فكان منهم الأسقف والكاهن والمعمد . ونموذج ذلك يظهـر من خلال شخصية باول دى سانتا ماريا – ذلك الحاخام اليهودى والأسقف المـسيحى !! الذى خان أبناء دينه، وغيره نماذج كثيرة لشخصيات يهودية متنصرة، حاربت أهلها وأبناء دينها وجلدتها وصولًا لتحقيق عطف وعطاء الحكومات ، حتى وإن أدى الأمـر فى سـبيل ذلك إلى التضحية باليهود أنفسهم وإعمال المذابح فيهم .

– كانت أعنف الضربات التى لحقت باليهود المتنصرين من قبل محاكم التفتـيش علـى أيدى عدد من حاخامات يهود ؛ تنصروا !! وأصبحوا كهنة وقساوسة مسيحيين .

– كانت المنح والعطايا والرشاوى والوشاية هى الأساليب التى اسـتخدمها المـارانوس تحقيقا لأهدافهم فى التغلغل فى المجتمعات غير اليهودية .

– أثبت التماذج بين فكر المارانوس وجماعات الشبتائية (الدونمة) والفرانكية المتحـولين عن دينهم وحدة الفكر القائم على المداراة والتخفى واستغلال المجتمعات الخارجية والتسلل لأنظمتها سياسيًا واجتماعيًا تحقيقـًا لأغراضهم .

– مثل المارانوس ظاهرة يهودية ذات أنساق مسيحية غير مؤكـدة مزدوجـة الفكـر والعقيدة تحمل فى طياتها فكرًا لا ينتمى إلى هوية دينية محددة .

- عكس انضمام المارانوس للحركات التنويرية والبروتستانية المعادية للكاثوليكية ، وكذا الحركات المسيحانية المعاصرة مفهومًا جديدًا للتعايش مع الآخر قوامه الإيمان المجرد غير العابىء بالدين لخدمة مصالحهم وأهدافهم .

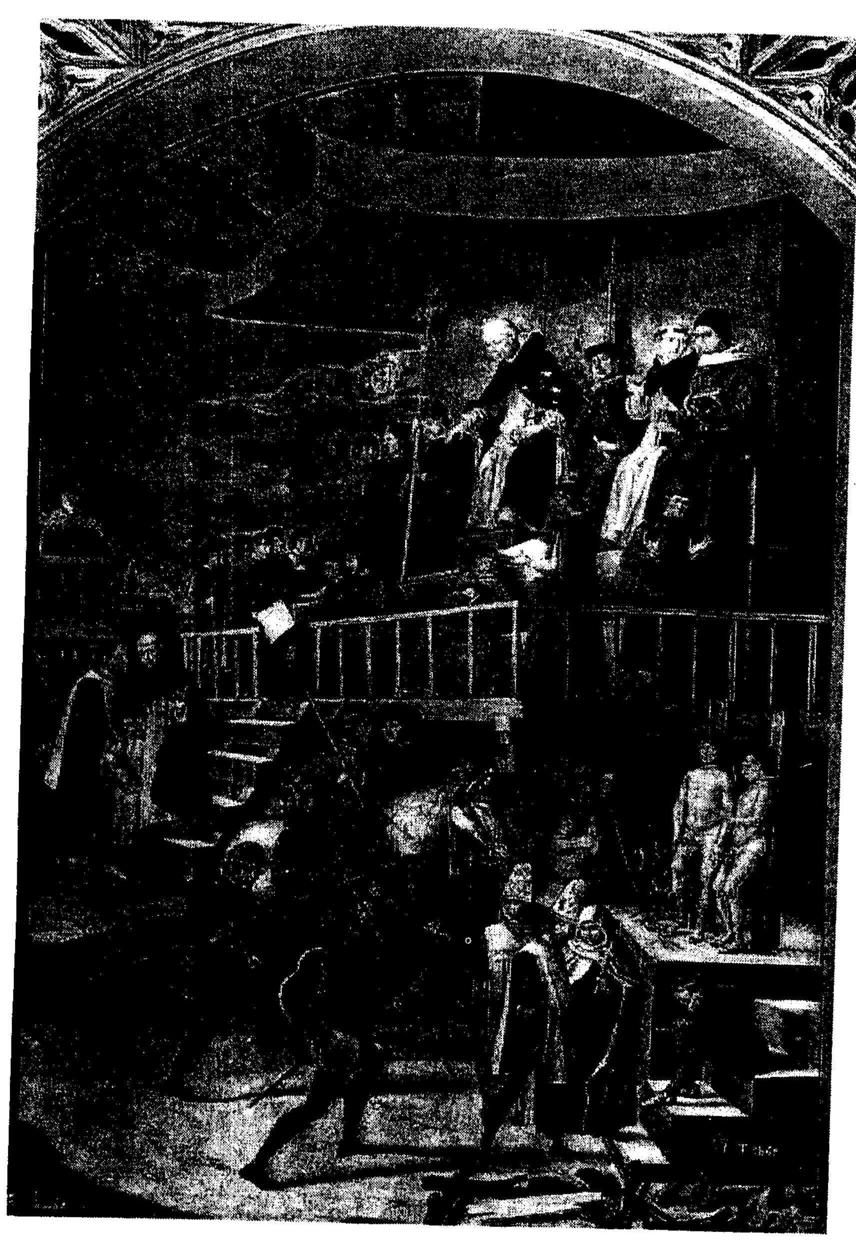
- مثلت جماعات اليهود المارانوس طليعة الجماعات الممارسة لليبرالية التحررية فكرًا وعملاً من خلال إعلاء الفردية على حساب الدين والدولة باعتبار أن الحرية لا يحدها قوانين أو معتقدات .

- نتج عن الأفكار التحررية التى نادى بها المارانوس الى اتخاذهم شكلاً من أشكال العلمانية التى تعلى من شأن الدولة على حساب الدين .

- أظهر انضمامهم للحركات التنويرية والبروتستاتية المعادية للكاثوليكية تذبذب شخصيتهم وعدم القدرة على الانتماء لأى معتقد .

- تأرجحت آراء المشرعين اليهود بين قبول اليهود المتنصرين باعتبارهم مواطنين يهود، وبين رفضهم باعتبارهم خارجين عن الدائرة اليهودية ، رغبة فى استقطاب العناصر اليهودية المتنصرة ، وجمعها داخل بوتقة دولة إسرائيل لاعتبارات قومية سياسية واقتصادية .

- قدرة المارانوس على الاندماج والتعايش مع الديانات والمذاهب المغايرة واختلاطهم بعبادات وانماط مختلفة ورفعهم شعار الايمان المجرد غير العابئ بأمور الدين والشرائع ، والرافض للجمود والتعصب الذى رموا به الحاخامية اليهودية . الأمر الذى يستدعى دعوتهم بـ "الجماعات المارقة" أو الخارجة عن الديانة اليهودية ، كما يمكن اعتبارهم جماعات يهودية ذات أنساق مسيحية غير مؤكدة ، مذبذبين لا من هؤلاء ولا هؤلاء .



صورة توضح إحدى جلسات محاكم التفتيش

المصادر والمراجع

المصادر العربية

أولاً المصادر :

القرآن الكريم

الكتاب المقدس ، العهد القديم والعهد الجديد – مترجم من اللغات الأصلية – دار الكتاب المقدس – القاهرة – الطبعة الرابعة ٢٠٠٦– الإصدار الثالث .

ثانيًا المراجع العربية :

١. النعيمي : أحمد نورى ، اليهود والدولة العثمانية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، دار البشير، الأردن، ١٩٩٧م ،

٢. إسبينوزا : رسالة فى اللاهوت والسياسة ، ترجمة وتقديم حسن حنفى ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، ١٩٨١م .

٣. برنز : يواكيم ، بابوات من الحى اليهودى ، ترجمة خالد أسعد عيسى ، مراجعة سهيل زكار، دار حسان ، ١٩٨٣م .

٤. حمدان : جمال ، اليهود أنثروبولوجيا ، المكتبة الثقافية ١٦٩ ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ، شباط – فبراير ، ١٩٦٧م.

٥. درويش : هدى ، العلاقات التركية اليهودية ، دار القلم ، دمشق ، ٢٠٠١م .

٦. درويش : هدي، حقيقة يهود الدونما في تركيا وثائق جديدة ، دار عين، القاهرة ، ٢٠٠٣.

٧. فلاح : سلمان ، تاريخ العرب ، وزارة الثقافة والمعارف اليهودية ، أورشليم ، ١٩٦٥م.

٨. سوسة : أحمد ، العرب واليهود فى التاريخ ، العربى للطباعة والنشر والتوزيع ، ط٧ ، دمشق ، بدون تاريخ .

٩. الشامي : رشاد ، الرموز الدينية اليهودية ، مركز الدراسات الشرقية ، جامعة القاهرة ، عدد ١١ ، ٢٠٠٠م .

١٠. الشامى : رشاد، جولة فى الدين والتقاليد اليهودية ، مكتبة سعيد رأفت القاهرة ، ١٩٧٧م.

١١. الشامى : رشاد ، موسوعة المصطلحات الدينبية اليهودية ، المكتب المصرى لتوزيع المطبوعات ، القاهرة ٢٠٠٣م .

١٢. ظاظا : حسن : الفكر الدينى اليهودى ، دار القلم دمشق، ١٩٩٩م.

١٣. الشناوى : عبدالعزيز: الدولة العثمانية دولة مفترى عليها ، مكتبة الأنجلو المصرية ، بدون تاريخ .

١٤. عبدالمجيد : محمد بحر، اليهود فى الأندلس، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧٠.

١٥. عجاج نويهض ، بروتوكولات حكماء صهيون ، دار الاستقلال للدراسات والنشر، بيروت ، ١٩٩٦م .

١٦. كاسترو : أميركو ، إسبانيا فى تاريخها ، ترجمة على إبراهيم منوفى ، المشروع القومى للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٣م .

١٧. محمود : أمين عبدالله ، مشاريع الاستيطان اليهودى منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ، عالم المعرفة ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والأداب ، الكويت، عدد ٧٤، فبراير ١٩٨٤م .

١٨. المسيرى : عبدالوهاب ، اليد الخفية ، دار الشروق ، ١٩٩٨م .

١٩. المسيرى : عبدالوهاب ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، ٧ مجلدات ، دار الشروق القاهرة ١٩٩٩.

٢٠. مكاريوس : شاهين ، أربع كتب فى الماسونية ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، ١٩٩٤م.

٢١. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، إشراف مانع بن حماد الجهني ، ط ٤ ، دار الندوة العالمية للطبع والنشر والتوزيع ،الرياض، ١٤٢٠ هـ .

٢٢. ناظم : منى ، المسيح اليهودى ، مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر دولة الإمـارات العربية المتحدة ، أبو ظبى ، سلسلة ثقافية قومية ، نحن وهم .

٢٣. ديورانت : ويل ، قصة الحضارة : ترجمة محمد بدران بيروت ، تونس .

ثالثـا المراجع العبرية :

١. תורה נביאים כתובים והברית החדשה התנ"ך על פי המזורה בכתב יד לנינגרד הכמהדורה השלישית של ביבליה הבראיקה שטוטדרטנסיה . החברה לכתבי הקודש . ירושלים .١٩٩١ .

٢. ש' אברמסון, פירוש רבנו חננאל לתלמוד, ירושלים תשנ"ה.

٣. א' אשתור, קורות היהודים בספרד המוסלמית, ירושלים ١٩٦٦،

٤. בן-ששון, צמיחת הקהילה היהודית בארצות האסלאם, ירושלים תשנ"ו.

٥. ר' דרורי, "ההקשר הסמוי מן העין: על תוצרים ספרותיים של מפגש תלת-תרבותי בימי הביניים", מעמים מו-מז (תשנ"א)

٦. המלון החדש הוצאת קריית ספר ירושלים ١٩٨١ ، מיך .

٧. האינציקלופדיה העברית כרך רביעי . הוצאת ספרית פועלים 1988.

٨. האינציקלופדייה היהודית "דעת" . ערך אינקוויזיציה, אוטו דה פה .

مواقع الكترونية عبرية :

١- סיכום (היהודים בספרד בין איסלם לנצרות) עימות בין מוסלמים לנצרות www.tzafonet.org.il.

٢- www.daat.ac.il/encyclopedia/value.asp

٣- ליסק. רבקה שפק (ד"ר).לקחים הסטוריים . יהדות סודית בצל האינקוויזיציה . www.omedia.co.il

٤- בירנבוים אליהו. יהודי עולמי . תנועת התשובה של הקצין הפורטוגזי . www.makorrishon.co.i .

٥- כהנוב עזר (ד"ר) המכללה האכדמית אחבה .מעוף ומעשה
חוברת1996-5.1996.

٦-אנוסים ושבתאים האופציה שך דתיות כריזמטית.
. web.macam.ac.il

٧-אליאב שוחטמאן . מעמדם ההלכתי של האנוסים לאור ספרות
התשובה . שנת תשנ"ג . www.daat.ac.il

رابعًا المراجع الإنجليزية :

(مرجـــع تركـــي) - A.R. Kucuk, Donmeler Tarihi, Ankara, 1
1992

2 - Episten, l: Judaism : A Historical presentation, penguine
.1974Books, London,

. Vols,Translated by Harry Sperling &Maurica 53 -The Zohar,
Simon, The soncino press, London, Jerusalem, New York,
.1970reprinted

- S. Balakrishman : introduction to Hindu Religion, printed 4
at Mehta offset works, New delhi.

- Seltzer, R.M.: Jewish people Jewish Thought, Collier 5
.1980Macmillan publishers, U.S.A.

الكاتبة في سطور

دكتورة هدي درويش

– الأستاذ المساعد ورئيس قسم الأديان المقارنة بمعهد الدراسات والبحوث الآسيوية – جامعة الزقازيق.

– حاصلة على ليسانس الآداب في جامعة عين شمس قسم اللغات الشرقية – فرع اللغة العبرية بتقدير جيد جداً .

– حاصلة على جائزة أحسن رسالة دكتوراة في جامعة الزقازيق لعام ٢٠٠١ – ٢٠٠٢.

– شغلت منصب المدير التنفيذي لمركز بحوث العالم التركي بالقاهرة عشر سنوات (١٩٩٠ – ٢٠٠٠ م).

المؤلفات العلمية :

– الإسلاميون وتركيا العلمانية – دار الآفاق العربية ، القاهرة ١٩٩٨ م .

– العلاقات التركية اليهودية وأثرها على البلاد العربية ، دار القلم ، دمشق ، ٢٠٠٢م.

– أفغانستان بين السلام والحرب ، سلسة كتب التصوف الإسلامي ، الكتاب ٤٨، يناير ٢٠٠٢ م .

– حقيقة يهود الدونمة في تركيا ، عين للدراسات والبحوث ، القاهرة ، ٢٠٠٣ م .

– دور التصوف في انتشار الإسلام في آسيا الوسطي والقوقاز عين للدراسات ، القاهرة، ٢٠٠٤ م .

– حجاب المرأة بين الأديان والعلمانية ، عين للدراسات القاهرة ، ٢٠٠٥ م .

– الصلاة في الشرائع القديمة والرسالات السماوية عين للدراسات ، ٢٠٠٦ م .

الأبحاث والدراسات :

- المنهج الصوفي للطريقة البكتاشية وتأثيره على السلطة الحاكمة في تركيا ، مجلة الآداب – جامعة الزقازيق ، نوفمبر ٢٠٠١ م .

- تركيا بين التأثير اليهودي والواقع العربي في الماضي والحاضر والمستقبل .
- السلوك الاقتصادي في حياة نبي الله إبراهيم عليه السلام .
- الآسينية في الفكر الديني اليهودي ، دراسة في النشأة والعقائد .
- البعث في العقيدة اليهودية (دراسة في فكر موسي بن ميمون) .
- إدريس عليه السلام بين الروايات اليهودية والتفاسير الإسلامية .

لها العديد من المقالات في المجلات والصحف العربية والدولية المختلفة وشاركت في العديد من المؤتمرات المحلية والعالمية .

المحـــــتويات

رقم الإيداع ٢٠٠٨/٧١٤١

الترقيم الدولي I.S.B.N. 977-322-235-9

مطبعة صحوة

٧ شارع إسماعيل رمضان– الكوم الأخضر – فيصل

تليفون وفاكس / ٣٣٨٧١٦٩٣ – ٠١٠١٠٠٩٦٧٨